M

جامعة ابن خلدون تيارت

Ibn Khaldoun of Tiaret

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

Faculty of Humanities and Social Sciences

قسم علم النفس والفلسفة والأورطفونيا

Department of Psychology, and Speech Therapy

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د

تخصص فلسفة عربية وإسلامية

العنوان

قيمة الفكر التربوي عند محمد عبده وحمد إقبال

دراسة نقدية

إعداد:

- جرادة فاطمة الزهراء
- عدلي سهام

إشراف

د. حجاج خليل

لجنة المناقشة

الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة
بن سليمان اعمر	أستاذ محاضر أ	رئيسا
حجاج خليل	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
بهلول عبد القادر	أستاذ محاضر أ	مناقشا

الموسم الجامعي: 2023/2022

كلمة شكر:

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى، وأهله ومن وفى الحمد لله

والشكر له على فضله أن مّن علينا هذا ووفقنا لإنهاء هذه الدراسة.

وأيضا نشكر أستاذنا المحترم خليل حجاج، لقبوله الإشراف على هذه الدراسة

وجزيل الشكر لمن قدموا لنا يد المساعدة والدعم والتشجيع لإنجاز هذا.

الإهداء:

الحمد لله على إتمام هذه الدراسة، وبمناسبة ذلك

نهديها إلى الوالدين الكريمين حفضهما الله

ولكل من عائلتينا من إخوة وأخوات

وإلى كل من ساهم في دعمنا من قريب أو بعيد.

مقدمة:

لقد أصاب الأمة الاسلامية في العصر الحديث العديد من المشاكل نتيجة التخلف والضعف في شتى المجالات، مما أدى إلى بروز مفكرين وزعماء الإصلاح يحملون آلام أمتهم ساعيين إلى القضاء على الضعف وطامحين إلى غد افضل منهم، وما سعى إليه من إصلاح وتجديد كل حسب بيئته وثقافته، من بين المصلحين والمجدين في ذلك العصر خير الدين التونسي، جمال الدين الافغاني، عبدالحميد بن باديس، محمد إقبال ومحمد عبده..... كانوا جميعهم يسعون حول النهوض بالأمة، هاذان الأخيرين خصصنا دراستنا حول ما قدماه من إصلاح وتجديد متخذين من الفكر التربوي سببا في تغيير معارف الإنسان وتطوير مهاراته وتنمية فكره .

يعتبر فكرهم من أهم الفكر المؤثر في العالم الاسلامي في القرن العشرين حيث كان لهم رؤية تربوية متطورة وشاملة تجمع بين التراث الإسلامي والعلوم الحديثة هادفة إلى تعزيز الوعي الثقافي والديني للأفراد والمجتمع. وكان لكل منهما نظرة مميزة في تحقيق الأهداف التربوية وتغيير ما يجب تغييره في الأمة وما قد خلفه الاستعمار الأجنبي للسعي وراء نهضتها.

ومن أسباب اختيار الموضوع قيمة الفكر التربوي عند محمد اقبال ومحمد عبد بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي وهي كالاتي:

الأسباب الذاتية:

- الميول الشخصي للاحتراف والتوسع في الموضوع واثراء المكتسبات.
- أهمية الموضوع والتعرف على الشخصيتين وابراز دور كل منهما في بيئته وعصره وما قدماه في تكوين الفكر.

الأسباب الموضوعية:

- معرفة إصلاحاتهما وما سعو نحوه من أجل الامة.
- استكمال حلقة البحوث والدراسات حول هذا الموضوع.

وعليه نطرح الإشكال التالي: ماهي الأسس الفكرية لماهية الإصلاح عند كل من محمد إقبال ومحمد عبده؟

للإجابة عن هذه الإشكالية تناولنا ثلاثة فصول، الفضل الأول متكون من ثلاثة مباحث، حيث تكلمنا فيه عن تاريخ الفكر التربوي عند محمد إقبال كما تطرقنا فيه غلى ذكر سيرته ومفهوم الإصلاح عنده، وعلاقة النهضة بالتربية عنده. والفصل الثاني متكون من مبحثين، حيث تناولنا فيه التربية والإصلاح من الفرد والمجتمع، ومفهوم الإصلاح عند محمد عبده. أما الفصل الثاني فكان للمقارنة بين نظرتهما للمعرفة والعالم والإنسان، وإلى الحضارة الغربية وواقع التعليم الإسلامي.

أما المنهج المتبع أثناء الدراسة كان تاريخيا وتحليلي وبالأخير نقدي.

أهمية الدراسة:

- إبراز حياة المفكرين وقضية الاصلاح التي كانا ساعيين لتحقيقها.
- تقديم الحلول لإخراج العالم الإسلامي والنهوض به من الازمة التي كان يعيشها مما جعل المفكرين يربطانهما بالتربية.

أهداف هذه الدراسة:

إبراز الفكر التربوي للمفكرين ومعالجتهما لواقع التعليم الاسلامي والغربي ومحاولة اصلاح وبناء منظومة تربوية وعالم اسلامي خال من التبعية.

لقد حظي المفكرين بمجموعة من الدراسات السابقة وفي عدة جوانب مختلفة نذكر من بينها:

خليل الرحمان عبد الرحمان، محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، سنة1406هـ/ 1985م حيث بين فيها الكاتب الاوضاع السياسية

والاجتماعية والثقافية في الهند، وموقف إقبال من الحضارة الغربية والاسس التي قانت عليها الحضارة.

مرزاق بيبي، الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي، اطروحة دكتوراه في علوم التربية، تحدث فيها عن فكر محمد إقبال ومحمد عبده ومقارنا بينهما.

محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي عند الإمام محمد عبده، رسالة ماجيستر في التربية، تحدث الكاتب فيها عن مفهوم وأهداف وغايات التربية.

ومن المصادر والمراجع المستعملة في دراستنا:

عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، فهو من سبق بالتعريف بمحمد إقبال للعالم، فقد اهتم بفكر إقبال ودواوينه الشعرية، فهذا الكتاب يحتوي وقد ألم بسيرة إقبال وفلسفته وشعره.

محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده (ج1/ج2/ج3) يتحدث عن محمد عبده ودوره السياسي والديني والاجتماعي والتربوي مع إبراز حياته وأهم منجزاته.

ومن **الصعوبات** التي واجهتنا:

*صعوبة فهم الشعر والوصول إلى معناه وتحليله وذلك لاستخدام الشاعر لمصطلحات إسلامية عربية وغربية.

*صعوبة التنسيق بين المصادر والمراجع.

*صعوبة التوصل إلى بعض المراجع.

الفصل الأول:

تاريخ الفكر التربوي

عند محمد إقبال

تمهيد:

من بين المجددين والمصلحين في العالم الإسلامي عامة وفي الهند خاصة، من خيرة ما أنجبت العصور القديمة والحديثة، الشاعر والفيلسوف والمصلح محمد إقبال، الذي نهض بأمته في الوقت الذي كانت تعيش فيه حالة تدهور وضعف في شتى المجالات.

قبل البدء في الحديث عما قدمه من تجديد وإصلاح لا بد من التعريف بالشخصية والوقوف عند حياته وعوامل تكوين شخصيته فماهي مراحل نشأته ومسار تعليمه؟

المبحث الأول: تاريخ الفكر التربوي عند محمد إقبال:

مولده:

ولد محمد إقبال في سيالكوت إحدى مدن البنجاب الغربية في 24من ذي الحجة 1289 هـ الموافق لـ 9نوفمبر 1877م. ولد هذا النابغة والفيلسوف والشاعر في أسرة فقيرة وفي بيت متواضع، كان من الذين بعثهم الله ليجددوا وينبغوا في هاته الارض، لهذا الولد أثر كبير على أمته والمسلمين وحتى جميع البشر.[1]

أسرته:

ينحدر إقبال من أسرة برهامية الديانة، أسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون في عهد الدولة المغولية "أسلم هذا الجد على يد الشيخ شاه همداني أحد أئمة المسلمين في ذلك العصر.

هاجر محمد رفيق جد محمد إقبال من قرية لوهر في كشمير إلى مدينة سيالكوت من ولاية بنجاب إذ كانت أقرب المدن إلى بلادهم وذلك سعيا في طلب رزقهم.

ذكر محمد إقبال في بعض من شعره أنه من سلالة البراهمة لا يفخر بهذا الأصل بل يفخر بأن رجلا من سلالة البراهمة أدرك من حقائق الإسلام وأسراره يقول في أبيات عنوانها الى أمراء العرب:

هل يسعد الكافر الهندي منطقه مخاطب أمراء العرب في أدب

<u>ويقول في بيام مشرق</u>:

"انظر الي فما ترى في الهند غيري رجلا من سلالة البراهمة عارفا بأسعار الروم وتبريز"

وفي شعر اخر:

قد قام الأمراء بالدين والقلب في حلبة السياسة فما ترى غير ابن البرهمن محرما للأسرار.[2]

[1] سيد عبد الماجد غوري، محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف، دار ابن كثير دمشق بيروت 1421هـ 2000م ص 17

[2] عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012 ص19

رحلته التعليمية:

بدا محمد إقبال تعلمه على يد والده في البيت، ثم أدخله لتحفيظ القران الكريم فحفظ منه كثيرا حيث كان يعلم القران الكريم للطلاب وأيضا يوجد الكثير من اقتباسه من القران الكريم في شعره مما دل على انه كان دائما على قلبه ولسانه. دخل مدرسة البعثة الأسكوتية (الثانوية) ليتلقى مبادئ اللغة الفارسية والعربية على يد الأستاذ مير حسين الذي كان صديقا لوالده.

امتاز محمد إقبال في دراسته في مدرسة البعثة وتفوق بذكاء ونال الجوائز السنية وفرصة الدراسة بالمجان. لقد كان أستاذه يبذل له العناية الخاصة وأرشده وحرضه على إتقان الاردوية بدل من البنجابية. وكان يرى في محمد إقبال الكثير من الذكاء وسرعة البديهة والاستعداد الفطري لحب العلم والمعرفة، لقد بدأ كتابة الشعر وهو في هاته المرحلة وشجعه أستاذه "مير حسين" على مواصلة نظمه.

دراسته الجامعية وانخراطه في سلك التدريس:

التحق محمد إقبال بكلية الحكومة في لاهور ليتمم دراسته، كان موضع الإعجاب في ذكائه وعلمه وأدبه واستمر في دراسته حتى نال الدرجة التي تسمى في نظام التعليم الانجليزي

(B A) وفي الكلية نال على ميداليتين ذهبيتين، وتابع دراسته إلى ان حصل على الماجيستر في الفلسفة.

التقى محمد إقبال بالفيلسوف المستشرق المعروف "توماس ارنولد" صاحب كتاب "الدعوة الى الإسلام " الذي كان استاذ اللغة العربية في جامعة لندن ثم أستاذ الفلسفة في جامعة عليكره الإسلامية بالهند فكلية الحكومة في لاهور. وهو من خيرة من درسوا الإسلام والتصوف الإسلامي وتعمقوا فيها من المشرقين، تتلمذ إقبال على يد توماس ارنولد واستفاد منه الكثير وكان له خير مرشد ومعين.

بعد انتهاءه من تحصيل العلم في كلية الحكومة في لاهور، تم تعيينه استاذا لمادتي التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية "ORIENTAL Collège" في لاهور ثم عين أستاذا لتدريس الفلسفة والانجليزية في كلية الحكومة التي تخرج منها لينال اعجاب تلاميذه وزملائه وثقة وزارة

التعليم وهذا ما دفعهم على تقدير غزارة علمه وحسن خلقه وسلامة الفكر. والتفتت اليه الأنظار وذاع صيته وجمل ذكره في المجالس حتى صر في فترة قصيرة من أساتذة لاهور النابهين.[1]

سفره الى أوروبا:

سافر إقبال إلى أوروبا وهو في السن الثاني والثلاثون لاتباع مشورة السير توماس ارنولد، توجه الى بوباي ومن ذلك قاصدا انجلترا والتحق بجامعة كامبردج ودرس الفلسفة حتى نال من هاته الجامعة درجة في فلسفة الأخلاق.

سافر الى ألمانيا وتعلم الألمانية والتحق بجامعة ميونخ وكتب رسالته "تطور ما وراء الطبيعة" في فارس وهي اول كتاب في الفلسفة وقد اهدى هذا الكتاب لأستاذه توماس ارنولد ونشره في لندن. عاد إلى لندن ودرس القانون وجاز امتحان المحاماة والتحق بمدرسة العلوم السياسية.

كان إقبال في أوروبا كثير التحدث عن الإسلام وثقافته وحضارته، وألقى محاضرات في الإسلام نشرتها الصحف وقد دلت آراؤه وشعره انه لم يعجب بحضارة أوروبا مما أنشأ قبل عودته الى الهند قوله: "ديار الغرب ليست أرض الله حانوتا، إن الذي توهمتموه ذهبا خالصا سترونه زائفا، وإن حضارتكم ستنجع نفسها بخنجرها إن العش الذي يبنى على غصن دقيق لا يثبت".

نال إجازة المحاماة في لندن وكان لإقبال من ذكائه وعلمه وبيانه ما يؤهله لأن يبلغ في المحاماة أعلى الدرجات ولكن الرجل خلق لغيرها ورشح لها، وإنما أراد بها كسب الكفاف ليفرغ للرسالة التي حملها في هذه الحياة الرسالة التي تنطق بها فلسفته وسيرته وشعره.

رجع إقبال إلى التدريس في كلية الحكومة التي تخرج فيها والتي درس بها من قبل. فعلم الفلسفة والأدب العربي والأدب الإنجليزي بعد العمل بها سنة ونصف استقال واكتفى بالمحاماة. استقالة اقبال من الكلية لم تقطع صلته بالجامعة فكان يعمل في مجالسها ولجانها وقد لبث سنين عميدا لكل الدراسات الشرقية ورئيسا لقسم الدراسات الفلسفية نكان ذا صلة دائمة بالكلية الإسلامية في لاهور وكذلك كان كثير الاهتمام بالجامعة الملية في دلهي، دائم الاتصال بها

[1] سيد عبد الماجد غوري، محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف، دار ابن كثير دمشق بيروت 1421هـ 2000م، ص17

وأعظم ما أمد به إقبال التعليم والتربية فلسفته في الذاتية وقد طبقها على التربية والتعليم والفنون في كثير من شعره.[1]

مرضه ووفاته:

بدأت الأمراض والعلل تصيب جسده وتنقص من قوته وقوة جسمه شيئا فشيئا وهو في 58 من عمره. وكل هذا لم تنال من عقله وروحه فلم يتخل عن نظم الشعر ولا على التفكير والبيان حتى أيامه الأخيرة.

زادت الام وأحزان محمد إقبال بعد وفاة زوجته سنة 1935، واشتدت علته، وأصبح واضحا أن قلبه لم يعد يقوى على الاحتمال.

في فجر يوم 21افريل 1938 وضع محمد اقبال يده على قلبه قائلا: "الان بلغ الألم هنا". وانتقل الى رحمة الله وعمره حينها واحد وستون سنة.[2]

العوامل التي كونت شخصيته: لقد ساهمت هاته العوامل في تطوير شخصية محمد إقبال وجعله مشهور في المشرق والمغرب، نذكر أهمها فيما يلي:

عامل التربية والثقافة الإسلامية:

محمد إقبال مدين لتربية الوالدين كثيرا لأنه يعتبر نفسه ثمرة توجيه الوالدين فكان يصف أمه بالقول عنها (لقد كانت حياتك صفحة مذهبة في كتاب الكون، وكانت قدوة الدين والدنيا) أما والده فكان زاهدا متصوفا يرى ابنه أحد الشيوخ الكبار قبل تغير موقفه كي لا يكون تكوينه فقط في الجانب الديني كعادة أهل البلاد أن يأخذ بالتعليم العصري، وفعلا كانت تربية إقبال وتكوينه منذ طفولته بارزة فقد كان يرى والديه المدرسة التي زودته بالمبادئ الاسلامية الصحيحة وأثرت ثقافته الاسلامية كانت واضحة مما جعلته رمزا من رموز الفكر الاسلامي الحديث وعلما من أعلامه. كان تأثره بالثقافة الاسلامية رجعا الى عاملين القرآن والسنة ومفكر الإسلام.

[1] عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012، ص 43/42

[2] نفس المرجع، ص 48/47

القرآن الكريم:

لقد كان فضل القرآن الكريم على محمد إقبال كبيرا، لقد قرأه واستفاد منه مما ساعده في تكوين شخصيته. وبهذا اتسع فكره وزادت دراسته وأيمن أن كتاب الله هو السعادة الحقيقية ومفتاح كل شيء معقد. إيمان إقبال بعظمة القرآن الكريم جعله يدعو المسلمين وغير المسلمين للقراءة والاستعانة بكتاب الله.

السنة النبوية:

لقد بين محمد إقبال أن الفضل يرجع إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– في تكوين شخصيته، فاقتدى به ووجد أنه المثل الأعلى الذي يتوجب على كل مسلم الاقتداء به. وانتهج نهجه عليه الصلاة والسلام فكان مثله في فلسفته التي سعت إلى ذات إنسانية قوية وثابتة وفق تعاليم القرآن.

بين محمد إقبال أن حبه للرسول –صلى الله عليه وسلم– كان يزيد ويقوى مع الأيام، مما منعه من أن يغزوه غيره أو يعبث به العابثون، فلقد كان مصدر إيمانه. وتأثر تأثيرا شديدا بالدين الإسلامي وحبه للرسول –صلى الله عليه وسلم–.[1]

[1] عبد الوهاب عزام، محمد إقبال، مرجع سابق ص 76

تمهيد:

كانت دعوة محمد إقبال قائمة على إصلاح التفكير الديني الإسلامي والقضاء على الجهل الذي تسلط على الناس، وعلى أفكارهم ومعتقداتهم الخاطئة التي أرسخها استعمار الغرب على البلدان العربية الإسلامية.

لقد سعى إقبال لبناء فلسفته التربوية القائمة على الذات والاهتمام بالتربية، ولمعرفة هذا علينا البحث في ماهية التربية عند إقبال والمزايا والأسس التي تم بناء فلسفته عليها؟

المبحث الثاني: مفهوم الإصلاح التربوي عند محمد إقبال:

اولا تعريف الإصلاح:

جاء في لسان العرب: الإصلاح نقيض الافساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه.
والإصلاح: التقويم والتغيير نحو الأحسن والأرقى.[1]

والإصلاح هو جملة التغييرات التي يتم إدخالها على نظام ما، بهدف جعله قادرا على الاستجابة لمتطلبات المجتمع جزئيا أو كليا. وقد يكون الإصلاح جذريا يشمل البنيتين الفوقية والتحتية للمنظومة أي مختلف عناصرها البنيوية والوظيفية، وقد يكون الإصلاح سطحيا يعالج جوانب محددة

ثانيا مفهوم التربية عند محمد إقبال:

في تحديد محمد أقبال ابعاد فلسفته التربوية ركز محمد إقبال على حقيقة الإنسان والغاية من وجوده، وعلاقته بما يحيط به، جاعلا من النص الديني مرجعا أساسيا له باعتباره تعاليما شرعية يجب حسن فهمها والالتزام بها. ومن النصوص الدينية الحاثة على ذلك، قوله تعالى: {يأيها الذين أمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذ اهتديتم}[2]. يقول تعالى امرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، ومخبرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس.

ثانيا مفهوم التربية عند محمد إقبال:

في تحديد محمد أقبال ابعاد فلسفته التربوية ركز محمد إقبال على حقيقة الإنسان والغاية من وجوده، وعلاقته بما يحيط به، جاعلا من النص الديني مرجعا أساسيا له باعتباره تعاليما شرعية يجب حسن فهمها والالتزام بها. ومن النصوص الدينية الحاثة على ذلك، قوله تعالى: {يأيها الذين أمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذ اهتديتم}[3]. يقول تعالى امرا عباده المؤمنين أن يصلحوا

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، ص 60
[2] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية 105
[3] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية 105

أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، ومخبرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس.

ثانيا مفهوم التربية عند محمد إقبال:

في تحديد محمد أقبال ابعاد فلسفته التربوية ركز محمد إقبال على حقيقة الإنسان والغاية من وجوده، وعلاقته بما يحيط به، جاعلا من النص الديني مرجعا أساسيا له باعتباره تعاليما شرعية يجب حسن فهمها والالتزام بها. ومن النصوص الدينية الحاثة على ذلك، قوله تعالى: {يأيها الذين أمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذ اهتديتم}[1]. يقول تعالى امرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، ومخبرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس.

وهنا يعرف إقبال التربية انها عملية بناء الإنسان بتقويته لذاته وفق حركة مستمرة عن طريق العمل والنشاط ومجاهدة الصعاب، على ان تكون الثقة بالذات وتجنيبها الاتكال والبطالة لتغدو حرة متسامية نحو الكمال ومسترشدة بطاعة الله واتباع هداه من اجل بلوغ الصورة المثلى للإنسان التي ينسجم بها مع محيطه ويندمج مع أمته ويسخر قوى الطبيعة لصالحه.[2]

فالتربية عند إقبال عملية متكاملة تشمل الفرد روحيا وبدنيا، عقليا وسلوكيا وتربطه بالجماعة من جهة، وبالبيئة المحيطة به من جهة أخرى. ولذلك كانت للتربية أهمية كبيرة وأسس وأهداف قيمة في حياة الإنسان.

أهمية التربية عند محمد إقبال:

للتربية عدة مزايا والتي نجدها في فكر محمد إقبال الفلسفي والتربوي في حد واحد حيث أن الفلسفة الذاتية لا ترتكز على مبدأ جاهز ومكتمل وإنما هي فلسفة حيوية تقوم على أساس العمل والنضال المستمر وتعتز بصناعة ووضع الأهداف وتحقيق الرغبات وهذا ما دفع بالذات إلى الترقي والنهوض تحت إطار مراتب أخلاقية وروحية وسلوكية والتي يجعلها كفيلة بتحقيق الإنسان الذي

[1] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية 105

[2] عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق، ص 60/59

تطمح به فلسفة محمد إقبال ومن هنا كان تأكيد إقبال على أهمية التربية في تكوين نهضة قوية ومتوازية حيث كان استوحائه للدين والتزام به خطوة تنويرية في استظهار جادة السبيل.

فأهمية التربية عند إقبال لا تقتصر على الفرد بحد ذاته وإنما تتعدى ذلك إلى المجتمع وهذا ما جعلهما (الذات الفردية والذات الجماعية) شرطين متلازمين ومتكاملين فلا قوة لأي منهما إلا في وجود الأخرى، وهذا ما يعني أن للعلاقة التي تجمعهما هي علاقة تكاملية لا وجود لواحدة دون الأخرى وبهذا يمكن القول إن أهمية التربية عند إقبال تستدعي الوصول إليهما من طرف الفرد والجماعة.

على مستوى الفرد:

لقد بين محمد إقبال في فكره الفلسفي والتربوي أن للفرد أهمية كبرى، وذلك بأن فلسفة الذات هي الفلسفة الجديدة التي جاء بها إقبال والتي تعني أن {الحياة كلها فردية وليست للحياة الكلية وجود خارجي، وحينما تجلت الحياة تجلت في شخص أو فرد أو شيء، والخالق كذلك فرد ولكنه أوحد لا مثيل له}.[1]

ويرى أن هدف الإنسان الديني والأخلاقي هو في إثبات ذاته وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف. إن التربية موجهة إلى الفرد لقد جعل محمد إقبال الاهتمام بالنفس عن طريق الطاعة وخلق المقاصد وضبط النفس أولى مراحل التربية عنده فهاته المقامات الخلفية لا يتم اكتسابها إلا بتربية الذات الفردية. وحرصا على ذلك فقد أحاط إقبال التربية بجملة من الآداب والأخلاق الرفيعة التي من شأنها انا ترقى بالإنسان وتخرجه من دائرة الجهل والسلبية إلى دائرة العلم والإيجابية. يقول إقبال: {لأدب زينة الجاهل والعالم، جميل من حلى نفسه بالآداب، لا أصادق ذلك المسلم الذي زاد علما وقل أدبا.}[2]

أساس فلسفة إقبال هي الذات والاهتمام بتربية (الذات الفردية) أولى أوليات محمد إقبال فبإعداد ذات الفرد يمكن بلوغ مجتمع إنساني قوي قوامه ذوات فردية قوية.

[1] محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة مصر، 1956، ص 19

[2] محمد إقبال، ديوان أرمغان حجاز، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، ط1، المكتبة العلمية وطبعاتها، ليك رود لاهور – باكستان 1976، ص2084

على مستوى المجتمع:

كما كان للفرد أهميته وقيمته في فلسفة إقبال إلا أنه لم يهمل دور المجتمع في تربية وبناء ذات الفرد. فإقبال خصص ديوانه أسرار الذات "خوذي" للتحدث عن الذات الفردية كما خصص أيضا ديوانه رموز نفي الذات "بي خوذي" للحديث عن الذات الجماعية وهذا ما قد يبين أهمية الجماعة أو المجتمع في تفكير إقبال الفلسفي والتربوي. فالذات الفردية لا بد لها وأن تنشأ داخل إطار عام لتمارس التربية وأهدافها.

يرى إقبال أن الذاتية أو الفردية أساس العالم، وأن الخير كل الخير في تقوية ذات الإنسان واستخراج ما في فطرتها من قدرة. وكذلك يرى إقبال أن هذه الذات لا تربى وتكمل إلا في الجماعة. وأن عمل الجماعة أن تمكن الفرد من بلوغ كماله بإظهار كوامن فطرته ومنتهى قدرته[1].

كما بين إقبال أن الفرد مرآة الجماعة والجماعة مرآة الفرد. وهما كالجواهر والسلك وكالنجوم والمجرة. الجماعة تنتظم بالأفراد والفرد يقوم في الجماعة فيقول: إن الفرد يغفل عن المقاصد وتنتشر قوته، فتعلمه الأمة ضبط النفس، وتقيده بالقانون لتحرره.

كما اهتم إقبال بالتربية الفردية اهتم بالجماعية وجعل من الذات الفردية والذات الجماعية طريقا أساسيا لبلوغ الكمال الإنساني الذي ينشده من وراء التربية، {وأن بناء الأمة ونهضتها وازدهارها لا يكون إلا على أيدي جيل تربى على قيم الشجاعة والحرية والاعتماد على النفس والاعتداد بالشخصية، فبهذا الجيل تتحرر الأوطان من المحتَل ومثله تبنى المجتمعات وتتقدم. وعلى هذا فإن قيمة التربية تكمن في تأصيل هذه القيم في شخصية الإنسان}.[2]

[1] عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق، ص 97

[2] مرزاق بيبي، الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، قسم علم النفس، جامعة الجزائر2 ،2007، ص70

أسس ومبادئ التربية:

أ/وجود الذات:

بنى محمد إقبال فلسفته على الذاتية وقال إنها حقيقة العالم. ودعا الإنسان إلى النظر في نفسه والعناية بها وإخراج ما فيها من قوى كامنة ومواهب مستترة ويقول أيضا: "إني أرى أن هدف الإنسان الديني والأخلاقي إثبات ذاته لانفيها وإن كماله على قدر إثبات ذاته، وتمكين استقلالها. ومثله الأعلى هو الذات العليا التي لا تشبهها ذات الخالق جل وعلا. كلما تخلق الإنسان

بأخلاق الله كما جاء في الأثر، وقارب هذه الذات تخلق الإنسان بأخلاق الله كما جاء في الأثر وقارب هذه الذات العليا الوحيدة قرب من كماله.

فبقدر ما يؤمن الإنسان بذاته ويقويها فبقدر ما يثبت وجوده. ويصل إلى غايته التي خلق من أجلها لقوله تعالى:" إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[1] وعليه فوجود الذات لا ينبغي أن يكون محل شك من قبل الإنسان، لأن الإنسان الذي يشك في وجود نفسه لا يمكن أن يحاول الوصول إلى مدارج الرقي. لذلك كان وجود الذات شرطا للإحساس بها.

إن إقبال بقدر ما يستبعد الشك في وجود الذات بقدر ما نجده مقتنعا تمام الاقتناع بأن وجودها من وجود الله (الذات الالهية) فمن عرف ذاته فقد عرف ربه يقول إقبال "إن للذات من وجود الحق (الله) وجود، ولها من ظهور الحق (الله) ظهور."[2] كما أن إقبال ألح على ضرورة معرفة الذات والإيمان بها هو إلحاح على ضرورة معرفة الإنسان حقيقة نفسه وقيمته.

ب/ الإيمان وإعلاء عقيدة التوحيد:

لقد كان الإيمان وعقيدة التوحيد من أسس تقوية الذات عند محمد إقبال الذي جعل التوحيد شرطا أساسيا لقوة المسلم ولبناء المجتمع الإنساني المثالي. فهو شرط يجب أن تبنى عليه الأمة الإسلامية، وقوة الذات الفردية هي أول خطوة يجب القيام بها في سبيل تحقيق ذلك ومن هنا تكون

[1] قرآن كريم، سورة الرعد، الآية 11

[2] محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة مصر، 1956، ص284

تربية الذات هي الطريق لتحقيق المجتمع المثالي. ويكون التوحيد هو القوة الروحية التي ترتفع بها الذات نحو الكمال.

إن إيمان وسلامة العقيدة يقويان الذات الإنسانية ويحصناها غير أن ما يؤهله –في نظر محمد إقبال– هو أن المدرسة في البلاد الإسلامية قد انحرفت عن تلقين العقيدة وتقوية الإيمان لدى الأجيال الجديدة، مما جعل من الطلبة فارغي الأكواب، مفتقرين إلى القوة الروحية، فاقدين لأسرار الذات والحياة. لذلك كثيرا ما نجد إقبالا يوجه الجيل الجديد إلى حياة القلب وعدم الاكتفاء بحياة الحس. إذ يقول:" إن أهل المدرسة خلقوا حلقومك، فمن أين يأتي صوت "لا إله إلا الله، أيها الغافل ابحث عن الذات ... اسأل حديث القلب عن صوفي لا يمتلك بطانية ليعرفك الله مقامك ..." ففي هذا القول دعوة صريحة إلى التوحيد وحياة القلب التي لم تعد المدرسة العصرية توليها اهتماما.[1]

ت/خلق المقاصد والآمال:

إنشاء المقاصد يعني ذلك أن حياة الذات بالأمل الدائم وذلك بأن هناك رغبة نطلب تحقيقها، وتحقيق القصد هو الذي يجعل الذات في نشوة السكر من العمل والإبداع، هو الذي يفجر ثورة ضد الباطل، والسكون والعشوائية، وإن كنا أحياء بتخليق المقاصد فنحن منيرون بشعاع الأمل، فالأمل باعث على الحياة ولا يموت إلا من لا أمل له.

لقد أولى محمد إقبال أهمية كبيرة لخلق المقاصد وأعدها من أولى الشروط التي ينبغي التحلي بها كخطوة ممهدة لتربية الذات الإنسانية. حيث تبعث فيها الحركة وتساعدها على الإقدام فهذه الرغبات هي عين الحياة والقوة المحركة لكوامن الذات. يقول إقبال:

إنما يبقى الحياة المقصـد جرس في ركبها ما تقصد

سر عيش في طلاب مضمر أصـله في أمل مستتر

أحـي في قلبك هذا لأملا لا يحل طينك قبرا مهملا[2]

ففي الأمل قوة للذات وقيمة للعقل، وسداد في التفكير، وخصوبة في الخيال. يقول محمد إقبال:

[1] سيد عبد الماجد غوري، ديوان محمد إقبال، ج1 مرجع سابق ص305

[2] نفسه ، ص 136

إنما أصل الحياة الأمل فكذلك العقل منه ينـــــــسل

كل فكر وخيال واعتبار كل حس وشعـــــور وادكـار

هي آلات الحياة الجاهدة حين تمضي في وغاها صامدة [1]

مراحل تربية الذات الإنسانية:

لقد أراد إقبال أن يصل إلى حقيقة عالية وغاية عظمى من إثبات الذات ألا وهي الوصول إلى درجة الإنسان الكامل هذا الإنسان ذو الشخصية القوية، والطاقات الخلاقة المبدعة، الذي يكون نائب الحق –سبحانه وتعالى– فيكون يد الله وسمعه وبصره، ويكون جارحة من جوارحه تعالى. لقد حدد إقبال ثلاثة مراحل لكمال الذات:

–الطاعة

– ضبط النفس

– النيابة الالهية

الطاعة:

وتعني طاعة القانون الالهي، وذلك بالامتثال لأوامر الله تعالى والابتعاد عن نواهيه، يوجه إقبال حديثه للإنسان ويدعوه إلى طاعة الله تعالى التي هي أول مراحل تربية الذات وإنما تكون الطاعة بالانقياد للأوامر الالهية ونواهيها وعلى المؤمن أن يعلم أن كل ما أتى به الله تبارك وتعالى. إنما هو لمصلحة البشر والإنسانية أجمع.

من واجب العبد طاعة الله مهما كانت شدة هذه الواجبات فإنها لصالح الإنسان ولا يحمل الله الإنسان ما لا طاقة له لقوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"[2] وقال أيضا: من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها"[3].

[1] سيد عبد الماجد غوري، ديوان محمد إقبال ،مرجع سابق، ص 137

[2] قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 286

[3] قرآن كريم، سورة فصلت، الآية 46

ويضرب إقبالا مثلا عن الإنسان المطيع بالجمل الذي يسير بأثقاله صابرا محتملا، ولا يحسب ذلك ألما بل لذة، ويقول إن الطاعة تجعل في الجبر الاختيار، ويكون الإنسان حرا عندما يقيد نفسه بالشريعة. يقول إقبال:

ألفـه الكـد شـعار الجـــــمل شيمة الصبر وقار الجمل

صامت الإخفاق يمشي ماضيا زورقا في البيد يسري هاديـا

أجهدن في طاعة ياذا الخسار فمن الجبر سيبدو الاختـيار

بامتثال الأمر يعلوا من رسب وهوى الطاغي ولو كان اللهب[1]

ضبط النفس:

بعد طاعة الله للمرحلة الثانية وهي ضبط النفس الإنسانية وردعها عن كل ما حرم الله. فالنفس لها شهوات وأهواء نوازع وأغراض فلو سارت وراء هواها لألقيت في التهلكة لذلك من الضروري ضبط النفس. يقول إقبال بخصوص ضبط النفس مشبها أياها بالجمل:

جمل نفسك تربـو بالعـلف في إباء وعنـاد وصــلف

فكن الحـر وقـدها بزمـام تبلغن من ضبطها أعلى مقام

مـن يمـسك بـعصا لا إلاه فلتحطم طلـسم الخوف يداه

كل من بالحق أحـيا نفـسه لا ترى البـاطل يحني رأسه[2]

يحتل التوحيد مكانا هاما في ضبط النفس، ويهذبها ويخلصها من آفاتها وأمراضها كالأنانية والخوف والكذب ويساعدها في التغلب على الصعاب ويجعل صاحبها لا يخشى أحد إلا الله.

ويضع محمد إقبال خمسة شروط لضبط النفس تتمثل في قواعد الإسلام الخمس وهي: (التوحيد، الصلاة الزكاة، الصوم، الحج) وهذا بمعنى أن من أطاع الله وأقام شرائع هذا الدين فإنه يكتسب قوة

[1] محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة مصر، ص 41

[2] محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، مرجع سابق، ص42

تمكنه من التحكم في نفسه وضبط نوازعها. لأن خير طريق في ضبط النفس هو الالتزام بالفرائض يقول إقبال:

تلك أسباب بها تستحكم إن يكن في القلب دين محكم

اقو يا مؤمن بالله القوي تحكم في ذلك البكر الأبـــي[1]

النيابة الالهية:

إذا تمكن الإنسان بطاقاته التي وهبها الله تعالى من طاعة المولى وضبط النفس، فقد صار إنسانا بمعنى الكلمة، بحيث أنه أصبح سيد نفسه وليس عبدا لها فهو الذي يقودها وليس هي، فعندئذ يبلغ الإنسان المرحلة الثالثة وهي الميابة الالهية (الخلافة) ويصير الإنسان مدلول الآية القرآنية الكريمة: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة"[2]

فالنيابة الالهية هي أعلى درجات الرقي والكمال الإنساني الذي تطمح الذات إلى تحقيقه، والذات التي تبلغ هذا المستوى وهي أسمى منازل العارفين الذين يتخلقون بأخلاق الله. والذين "يحبهم ويحبونه" والذين "لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون"[3]

أهداف التربية:

يتمثل الهدف العام للتربية في كونها الطريق الصحيح لتجسيد الإصلاح الديني والفكري والاجتماعي والسياسي، وجاءت التربية عند محمد إقبال هادفة إلى إصلاح واقع الأمة من وراء اصلاح الفرد، فالأمة كذات جماعية يتوقف إصلاحها على إصلاح الفرد كذات فردية.

إن الهدف العام للتربية عند محمد إقبال هو تحقيق الإنسان (الذات) المسلم القوي الصالح كسبيل لإصلاح الأمة، لكن باعتبار التربية عملية متكاملة فإن تربية الذات تتطلب الشحذ والتقوية من جوانب مختلفة مما يجعل من الهدف العام للتربية يأخذ عدة أبعاد تخص الفرد والمجتمع.

[1] محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة مصر، ص43

[2] قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 30

[3] قرآن كريم، سورة الأنبياء، الآية 27

من الناحية الاجتماعية:

إن للتربية أهداف كثيرة تتمثل في مجملها في توجيه المجتمع الوجهة الإسلامية الصحيحة التي تجعل منه مؤسس في أسس دينية وتربط أفراده روابط روحية معتبرة. ولقد عبر عن المجتمع أو الأمة في كتابه (رموز بي خوذي أو نفي الذات) بمصطلح (بي خوذي) أي نفي الذات حيث يتم تلاحم الذوات الفردية فيما بينها مشكلة ذات اجتماعية قوية.

بالنظر إلى دور المجتمع وتأثيره في حياة الفرد، فقد اعتمد إقبال فلسفة تربوية ذات أبعاد اجتماعية هادفة إلى الارتقاء بالذات الاجتماعية ارتقاءها بالذات الفردية، وأن يكون ذلك كله وفق شرع الله وسنة رسوله. متخذا من التوحيد (لا إله إلا الله) شرارة روحية دافعة بتلك التربية نحو تحقيق أهداف تربوية سامية

من الناحية الروحية:

نجد للتربية أهدافا كثيرة، حيث أولى إقبال للتربية الروحية أهمية كبيرة، وجعل من غايات التربية متوقفة على مدى تشبع الذات بالتربية الروحية. ولعل من أبرز مهام التربية الروحية عند إقبال أنها بمثابة الحصن الذي بموجبه تتجنب الذات الذل والهوان ولا تنحني إلا لله الواحد الأحد، يقول إقبال:

كل من آمن بالله الأحد لا يذل النفس يوما لأحد.[1]

إن التربية الروحية تعد من أهم الخصائص التي تميز التربية عند محمد إقبال. لأنها في الإسلام "تهدف إلى ترقية الإنسان وانتشاله من الاستغراق في عالم المادة، وخلق حالة إتزان بين الجانب الروحي والجانب المادي لتستقيم حياته ويتحقق الهدف الأعظم في الحياة وهو التعرف على خالقه ومولاه، فيعبده حق عبادته ويتقرب إليه حتى يصل إلى مقام المحبوبية عند الله."[2] إن للتربية عند إقبال رسالة وأهداف تتمثل في ضرورة إعداد الذات بما يمكنها من أداء واجبها وهو إعمار

[1] محمد إقبال، والآن ماذا نفعل يا امم الشرق، ترجمة محمود أحمد غازي، ط1، دار الفكر، دمشق، 1988، ص 40

[2] محمد غسان الجبان، مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، ط1، سوريا دمشق، 2012، ص21

الأرض، وتذليل كل الصعاب في سبيل ذلك والتزود بالإيمان وطاعة القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى.[1]

غايات التربية عند إقبال:

ظهور الإنسان الكامل:

فلسفة إقبال غايتها الإنسان الكامل الذي هو على ما فيه من نقائص أسمى من الطبيعة لأنه حمل أمانة عظمى لقوله تعالى: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا."[2]

فهو قادر على تكييف وتوجيه القوى المحيطة به إلى حيث يشاء وأن ينشئ في أعماق نفسه عالما يجد فيه منابع من السعادة والإلهام لا حد لهما ولا نهاية. فالإنسان الكامل هو أن يكون متفقدا لجميع أخلاقه ، متيقظا لجميع معاييه. متحررا من دخول كل نقص عليه مجتهدا في بلوغ الغاية فالإنسان الكامل هو ذلك المؤمن الذي يحدد حياته باستمرار وهو رائد الانقلاب الصالح في التاريخ، ورسول الحياة. وبتحقيق الكمال الإنساني كغاية سامية للتربية عند إقبال تحصل غايات أخرى تعد من أبلغ سمات الكمال التي تنشدها الذات في مشوارها التربوي، والتي لا تتحقق إلا في الإنسان الكامل وهي:

الحرية:

يقرر إقبال أن الحرية هي فطرة إنسانية أصيلة وهي تحتم عليه ألا يستقر على حال ولا يرض المقام على الذل والهوان ويأنف من الخمول والرعاية.

يؤكد إقبال الحرية الإنسانية من خلال تفسيره لخطيئة آدم عليه السلام إذ يقول إثر ذلك:
"فالمعصية الأولى للإنسان كانت أول فعل له تتمثل فيه حرية الاختيار، ولهذا تاب الله على آدم ...وغفر له."[1]

[1] مرزاق بيبي، مرجع سابق، ص196

[2] قرآن كريم، سورة الأحزاب، الآية 72

تعد الحرية من أهم سمات الذات التي بلغت كمالها بالتربية وارتقت وفق درجات الكمال إلى أن قاربت الذات الإلهية فالحرية الإنسانية لا تتحقق إلا للإنسان الكامل أي "الإنسان الحر".

الخلود الأبدي:

كما كان الخلود من أعمق معاني الكمال والمقابل للفناء الذي هو سمة النقصان فإن إقبال قد أولاه أهمية عظمى وجعله من مقومات تصوره للإنسان الكامل.

إن الحياة في هذه الدنيا هي التي تهيئ للإنسان مجال من أجل تحقيق تلك الغاية لقوله تعالى: " من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد."[2]

وعليه فإن القرآن يتيح للإنسان إمكانية الخلود إذ ما أثبت ذاته وبلغ بها منتهى الكمال الإنساني. فالخلود من أكبر الغايات التربوية، ومن أعظمها قيمة وهو لا يتحقق إلا للذات الكاملة التي قويت بالتربية وتعالت عن الفناء في غيرها.

الاستخلاف وتسخير الكون:

يرى إقبال أن الاستخلاف وعمارة الأرض من أكبر الغايات التي خلق الإنسان من أجلها لقوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة "[3] وهذا دلالة أن في خلق الإنسان غاية وهدف وهاته الغاية لا تتحقق إلا بوصول الإنسان إلى المستوى الإنساني التي تتجسد في ظله مملكة الإنسان ويتحقق العدل والمساواة. فالإنسان الكامل هو الحاصل على الحرية والخلود والكمال الشخصي هو رائد الانقلاب الصالح في التاريخ

[1] محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة محمود عباس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ن 1967، ص99

[2] قرآن كريم، سورة فصلت، الآية 46

[3] قرآن كريم سورة البقرة، الآية 30

نشر السلم والأمن والعدل:

الإنسان الكامل هو سر التجدد والتنوع في التاريخ لأن الكون لم يخلق إلا من أجله فهو أقدر من الكافر على تغيير الكون ومن هنا فإن حياة الإنسان الكامل كلها حرية وأمل وعمل وحب وسلام ووئام وصلاح، ولا تعجزه عقبة وفي هذا يقول إقبال:

جددن في الناس قانون الإخاء وأدرها كأس حب وصفاء

أبلغ الناس رسالات السلام وأعد في الأرض أيام الوئام

من بني الإنسان أنت الأمل أنت من ركب الحياة المنزل[1]

فصورة الإنسان الكامل كما وصفه إقبال يتماشى وروح الإسلام فعند وصفه بالعدل والصدق، فهو يشير في ذلك إلى قوله تعالى: "ولكن كونوا ربانيين" وقوله صلى الله عليه وسلم: "تخلقوا بأخلاق الله"

كما أن الإنسان الكامل الذي دعا إليه إقبال ليس ذلك الذي دعا إليه متصوفة الإسلام كعبد الكريم جيلي فالاختلاف بينهما يظهر عندما يريد "الجيلي" أن يفنى الإنسان في ذات الله ويأبى إقبال إلا أن يثبتها ويؤكدها، فالإنسان الكامل عند جيلي ليس خالدا ويمثل الصفات الإلهية، فتتجلى فيه صفات الذات الالهية باعتبار أن الخلق امتداد لها وأن الحق والخلق صفتان لله وهما عين ذاته. في حين أن الإنسان عند إقبال خالد وتتجلى فيه الصفات الإلهية لا على نحو ما يرى جيلي

ومن هنا نرى أن محمد إقبال بحث عن قوة شخصية الإنسان فلم يجدها إلا في العقيدة الإسلامية التي استطاع من خلالها أن يكون نظرية عن الإنسان وعلاقته ببيئته على أس من التقاليد الدينية والثقافية التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ككل.

[1] محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، ترجمة عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة مصر، ص43

قضايا ذات صلة بالتربية:

عالج محمد إقبال في شعره عددا من القضايا الاجتماعية الفيلسوف الذي حاور فلاسفة الإسلام والغرب من القدماء والمحدثين على السواء وكان له رأيه المتميز المعبر عن شخصيته المتفردة لا تتصاع إلا لما تراه عين الحق ومن تلك القضايا نأخذ قضية واحدة:

قضية المرأة:

يرى محمد إقبال أن بصلاح المرأة يصلح المجتمع وبفسادها يفسد ويراها مثالا للخير على عكس أولئك الذين يجعلون المرأة مثلا للشر ومصدرا للفساد، ففي مقطوعة (المرأة) تظهر المرأة مثالا للعفة وكل شيء جميل إنما هو بسبب المرأة

إنـــما الـمرأة لـون في رســـوم الكائنـات

لحنها ينفث نار الو جد في صدر الحـياة

ذلك الطين تـعـالى فـوق أوج الـنـيـرات

ما لأفلاطون تروي من قضايا يا معضـلات

وهو منها كـشـرار من ذكـــــي الجـمـرات[1]

يرى إقبال أن قضية حرية النساء هي قضية العصر، وهو مع حرية المرأة إن أراد بها الحرية الحقيقية ولذلك يريد لها أن تقرر مصيرها بنفسها.

وما نفع أقوال تزيد ملامتي وقبل بنو التمدين عني تفرقوا

بين هذا السر وجدان مرأة ويعجز عنه في الرجال المحقق

أ حرية النسوان أجمل زينة أم الجيد بالدر الثمين مطوق[2]

[1] محمد إقبال، ضرب كليم، ترجمة عبد الوهاب عزام، مطبعة مصر، جامعة الأزهر للنشر والتأليف، 1952 ص 67

[2] محمد إقبال، ضرب كليم، مرجع سابق، ص 69

فهو يرثي لحال المرأة وما آلت إليه وما سببته لها المدنية الحديثة. إلا أنه يعلن عجزه عن فعل شيء سوى تنبيه الغافلين.

وأما عن تعليم المرأة فإقبال من الداعين إلى العلم الذي هو ليس حقا فقط بل هو فرض في شريعتنا على كل مسلم رجلا كان أم امرأة ولكن هذا العلم يجب أن يكون علما حقا والعلم الحق لا ينفصل عن الدين الحق، لأن العلم بدون دين فيه خراب الأمم. كما أن الانحراف عن الفطرة فيه هلاك. فتعلم المرأة العلم والفن بدون دين قتل للأمومة. وقتل الأمومة كما جاءت به المدنية الحديثة قتل للأمم.

موت الأمومة إن رامت حضارتهم فالموت عاقبة الإنسان في الغــرب

إن يجعل المرأة التعلــيم ولا امـرأة فالعلم موت يـراه صاحب القلـــب

إن تحرمن الفتاة الديـن مدرســـة فالعلم والفن مـوت العشـق والـحب

أي إن أغفلت المدرسة الدين الذي يحفظ المرأة حريتها وحدودها فعلمها وفنها موت لعاطفة المرأة وذهاب بالحب الحق.

تمهيد:

كان مفكري الإسلام والعرب ساعين خلف ضرورة تحقيق النهضة في القرن التاسع عشر، وذلك نتيجة تخلف وتدهور المجتمع والحال التي وصلت إليها الأمة نتيجة الاستعمار وتفوق الغرب.

لقد حاول رواد الإصلاح تصليح ما يعرقل النهوض بالأمة وتطورها وما ركز عليه المصلحين هو التربية التي تعد عاملا أساسيا في التطور والقضاء على التخلف. بما أن محمد إقبال ارتأى بناء فلسفته التجديدية على التربية فكيف رأى محمد إقبال النهوض بالأمة وكيف كانت التربية عاملا وأساسا في النهضة؟

المبحث الثالث: صلة النهضة بالتربية عند محمد إقبال :

تعريف النهضة:

بالفرنسية Renaissance من الفعل نهض، النهوض: أي البراح من الموضع والقيام عنه، نهض ينهض نهضا ونهوضا، وانتهض: أي قام وأنشد، وناهضته: أي قاومته.[1]

ومفهوم النهضة يحيلنا إلى الكلمة الأوروبية renaissance التي لم تظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن التاسع عشر، أما من حيث معناها لغويا فيقصد بها ميلاد جديد أو بمعنى "إعادة الولادة" والتجديد من الفعل renaitre أي يولد مرة أخرى to be born again ومن الفعل اللاتيني renãsa

أما اصطلاحا فالنهضة "هي هبة مجتمعية تسعى إلى إكساب الحضارة القومية قدرتها على إنتاج المعارف والمهارات في تعامل متكافئ مع الحضارات الأخرى" وهي نظرية الصعود من درجة إلى درجة أعلى أو هي إيصال العرب إلى مستوى الحضارة الكونية " وتجدر الإشارة إلى أن النهضة مصطلح تاريخي يأخذ معناها أبعادا تقربه أحيانا وتبعده أحيانا كثيرة من مفاهيم أخرى شديدة التداخل معه مثل الإصلاح، التجديد، التغيير..

وإذ كانت النهضة الأوروبية في القرنين السابع والثامن عشر قد قضت على مقومات التخلف واستحدثت النظريات العلمية وأقامت سلطة العقل والمنطق فإن النهضة العربية الحديثة التي عرفت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قامت على إحياء اللغة العربية وبعث التراث الإسلامي وإدخال مفاهيم العصر إلى المجتمعات العربية إضافة إلى معارضة سياسة الحكام الأتراك وما تلاها من حكم استعماري غاشم نال من حرية الشعوب العربية الإسلامية.[2]

[1] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 4560

[2] أمحمد شيلي، مجلة الحقيقة، مجلد 17 العدد 2، سنة 2018، ص283/284

تعريف التربية:

جاء في لسان العرب ربا الشيء: زاد ونما، وأربيته: نميته، وفي القرآن الكريم "ويربي الصدقات": أي يزيدها، ورُبيت في بيت أي: نشأت فيه.

معنى التربية في لغتنا يتضمن النمو، التغذية، التنشئة، التثقيف.

أما اصطلاحا فقد اختلفت تعاريف التربية وذلك لاختلافات كثيرة كأهدافها في المجتمع وتحديد الغرض منها، من بين التعاريف:

أفلاطون (427-348ق.م) إعطاء الجسم كل جمال وكمال ممكن، ودور المعلم لا يقوم على فرض العلوم، إنما بتوجيه التلميذ بالمناقشة والأسئلة.

أرسطو(384-322ق.م) التربية إعداد العقل للكسب كما تعد الأرض للنبات والزرع.

إيمانويل كانط (1804-1724)" الغرض من التربية الوصول بالإنسان إلى الكمال الممكن ومهمة التربية أن تحترم حرية الفرد الطبيعية وتساعده على تحقيق إنسانيته."

جون جاك روسو (1812-1778م)" الغاية من التربية ألا نحشو رأس الطفل بالمعلومات إنما نهذب قواه العقلية ونجعله قادرا على تثقيف نفسه بنفسه."[1]

وعموما فالتربية عملية هادفة متطورة موجهة لإحداث تغيير في سلوك الأفراد والجماعات، تحكمها قواعد وأنظمة وقوانين تسعى إلى تكوين العادات والممارسات السليمة من خلال الإرشاد والتدريب والتثقيف. فهي بذلك عملية شاملة تتناول الإنسان من جميع جوانبه النفسية والعقلية والعاطفية والشخصية والسلوكية وطريقة تفكيره وأسلوبه في الحياة.

النهضة والتربية عند محمد إقبال:

لقد كان لمحمد إقبال عدة إسهامات اجتماعية وإصلاحية تمثلت في مختلف الجهود النضالية والفكرية التي قدمها الرجل من خلال رحلاته وأسفاره من أجل الدفاع عن المسلمين والمطالبة

[1] أمحمد شيلي، مجلة الحقيقة، مرجع سابق، ص 287

بحقوقهم كما تتجلى أيضا من خلال مؤلفاته الشعرية والنثرية ومن لغاته العربية والإنجليزية والأردية والفارسية، ومن خلال ما حصّله من ثقافات هندية وإسلامية وغربية.

كانت جهوده موجهة نحو محاولة تجديد التفكير الديني في الإسلام من خلال تجديد الإنسان المسلم وذلك بالعودة إلى الذات من خلال فلسفة عرفت بفلسفة الذات أو على ما يصطلح تسميته ب "الذاتية" أو "خوذي" بالأردية وهي جهود تمحورت على المستوى السياسي حول استقلال العالم الإسلامي بصفة عامة وطرد المستعمر واستقلال الأقلية المسلمة في الهند بصفة خاصة وهو المسعى الذي تحقق بعد وفاة إقبال بإنشاء باكستان سنة 1947م.[1]

أما فكرة التجديد والإصلاح التي أرادها محمد إقبال وعبر عنها في كتابه" تجديد التفكير الديني في الإسلام " فتأتي بعد تشخيص منه لواقع الأمة الإسلامية وما تعانيه من ضعف وهوان ناتجين عن سيطرة المستعمر وفرض منطقه من جهة وما نتج عن ذلك من يأس في النفوس ووهن في التفكير وضعف في العزائم ولذلك وجب أن يكون التجديد والنهضة في نظر محمد إقبال تفكيرا ومنهجا يقومان على النقد وإعادة البناء وينتهي إلى دور الإسلام في توجيه حياة الإنسان. وهي ضرورة لا بد منها للتخلص من الاستعمار الصليبي لمواجهة الفكر الغربي المادي الالحادي ولإزالة الضعف العام عن المسلم المعاصر.

وتنشد هذه الفكرة تأويل الوجود على أسس روحية وتحرير روح الفرد ووضع مبادئ إنسانية توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحيته أي بالتغيير في مفهوم الإنسان لعالم الطبيعة وتحديد مبادئ عالمية لضمان التغيير والتجديد في المجتمع الإنساني. كل هذا يجري في الكون ومن خلال سيطرة الإنسان على العلاقات بين وحداته: الإنسان، الوجود، الله. وإدراكه لظاهرتين تغير العالم وحركة الإنسان، هذه ما جعلت التجديد مستمر ويبدأ هذا الأخير من نفس الإنسان أي تفكيره ووجدانه ومشاعره ثم يتحول إلى خارج النفس.

صلة النهضة بالتربية عند محمد إقبال:

لقد رأى إقبال أن كل تجديد أو تغيير لا بد وأن يبدأ من الإنسان ذاته وليس من الخارج، وهذا كان بالنسبة لإقبال كمبدأ أسس عليه فلسفته "فلسفة الذات" وجعل ركيزة تلك الفلسفة هي التربية، ورأى

[1] أمحمد شيلي، مجلة الحقيقة، مرجع سابق، ص303

أن تربية الذات الإنسانية تقتضي الأخذ بكل ما من شأنه أن يسهم في تقويتها من أسس وعوامل تساعد الإنسان على التسامي عن كل مآتي الضعف والاستجداء. وأن الأخذ بأسس تقوية الذات تعد أساس خوض الذات غمار التربية.

تتحقق غايات التربية عند محمد إقبال ببلوغ مرحلة النيابة الإلهية أي بظهور الإنسان الكامل لأنه من الضروري أن يتحقق التجديد للتاريخ والعمل والتضحية في روح الإنسان ليقوم بأداء مهامه ورسالته على أحسن وجه والتي من خلالها يضمن الحرية والخلود.[1]

[1] محمد إقبال، والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق؟ مصدر سابق ص 74

خلاصة الفصل:

محمد إقبال من المصلحين المجددين في القرن التاسع عشر والذي ساهم بشكل كبير في محاولة إيقاظ أمته وأبناء الهند، وذلك بإعادة النظر فيما خلفه الفكر الأوروبي. كما حاول بناء فلسفته الدينية الإسلامية، وإعادة تجديد المعارف الإنسانية للنهوض بمجتمعه وتدارك الأخطاء التي وقع فيها. هذا ما سعى إليه إقبال من أجل تجديد الفكر الإسلامي لإنجاز نهضة بعيدة عن التخلف الذي كان يعيشه العالم الإسلامي.

الفصل الثاني:

معالم الإصلاح عند محمد عبده

المبحث الأول: التربية والإصلاح من الفرد والمجتمع:

مفهوم التربية عند محمد عبده:

كان مفهوم التربية يتمثل في معنيين هي:

انها عملية مرادفة لتهذيب السلوك كان يسلك التلميذ سلوكا يتسم بالوقار والهدوء وعدم استعمال الالفاظ القبيحة والالتزام بطاعة الاوامر وحفظ النظام.

وثانيا: معرفي ويتمثل في شحن الذهن بالمعارف الموجودة في كتب التراث وتسميعها ونتيجة ذلك لم يكن هناك اهتمام بالتربية الجسمية والتربية الوجدانية غير ان محمد عبده أبرز مفهومها الى عدة جوانب:

-ان التربية هي عملية انهاء الفرد مع توجيه هذا النمو لتفيد المجتمع وقال في ذلك: ان التربية هي عملية اعداد الفرد للمعيشة الصالحة في نفسه ومع الناس الذين يعيشون معه

-ان التربية ينبغي ان تكون عملية شاملة متكاملة لان نمو الانسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية والنفسية.

يقول الامام كل انسان لا ينضج ولا يستوي الا من خلال تجارب الحياة وشدائدها فالشدائد والتجارب تخلق الرجال وتصنع الابطال.

-عبر محمد عبده عن هذه الحقيقة بقوله انه ينبغي للإنسان طلب العلم والمعرفة طول حياته وأكمل الناس علما وفهما الذين لا ينقطعون عن طلب العلم طوال حياتهم[1]

يقول الامام بشأن هذه الحقيقة ان التربية وسيلة لتحقيق غرض معلوم وتتغير وسائل التربية بتغير الزمان والمكان.

[1] محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للإمام محمد عبده وآلياته، في تطوير التعليم،كلسة التربية جامعة الفيوم ص45/44

نظرة محمد للتربية:

ان النظرة الشاملة التي قدمها محمد عبده للتربية والتعليم للتربية والتعليم والذي كان صاحب نظرة شاملة مثالية حين اعتقد ان التربية هي العصا السحرية التي تغير كل شيء وتبدل كل سلبي فتجعله ايجابيا وتعدل كل منقوص فتجعله كاملا وتطلق كل مقيد فتجعله حرا. واستمد ذلك من خلال تجربته الذاتية حيث كان فلاحا ولم يطمح الى غير ذلك الا انه استفاد من افكار والسلوك التربوي من استاذه جمال الدين الافغاني الذي جعله أكثر العقول البارزة في سماء الامة العربية والاسلامية في عصره وبذلك تغيرت نظرته للتربية حيث اعترف ان الانسان لا يكون حقيقيا الا بالتربية.[1]

وعنده ان الانسان إذا افتقد التربية فقد افتقد كل شيء فلن يستطيع ان يتحلى بالعدل او الغنى او الكمال الا إذا كان مصقولا بالتربية والتعليم. ذلك ان عدل الجاهل ظلم فان صدر منه بطريق الصدفة ل عن مقصد فلا بد له من الخبط فيظلم، وان غناه فقر فان اتى من البخت الاتفاقي فلا بد يوما ان يختل سيره فيفتقر وان كمال الجاهل نقص فانه طلاء على حائط خرب عما قليل يكشط ويتناثر ثم ينهدم.[2]

وبسبب النظرة المثالية للتربية والتعليم فقد علق محمد عبده اماله على (الاغنياء) في تحقيقها الذين رأى فيهم اصحاب مصلحة حقيقية في النهوض بالبلاد للحفاظ على مكاسبهم فيها ورأى ان دورهم في هذا الميدان اكبر واعظم من دور الحكومة فيه فقال ان: على الاغنياء من, الذين يخافون من تغلب الغير عليهم وتطاول الايدي الظالمة اليهم اكثر من الفقراء ان يتآلفوا ويتحدوا ويبذلوا من اموالهم في سبيل افتتاح المدارس والمكاتب ودوائر التعليم حتى تعم التربية وتثبت في البلاد جراثيم العقل والادراك وتنمو روح الحق والاصلاح وتتهذب النفوس ويشتد الاحساس بالمنافع والمضار فيوجد من ابناء البلاد من يضارع بني غيرها من الامم ,فتكون عند ذلك معهم في رتبة المساواة

[1] عبد الرحمان محمد بدوي، الإمام محمد عبده والقضايا الإسلامية، مطابع الهيئة الإسلامية للكتاب، 2005، ص79

[2] محمد عمارة الأعمال الكاملة، ج1، ط1 دار الشروق 1993 ، ص159

لهم ما لنا ولهم ما علينا ..... وعلى الحكومة في جميع ذلك ان تسن قوانين التعليم وتلاحظ احوال المعلمين والمتعلمين.[1]

وكما انه يعتقد بان التربية كفيلة بإصلاح او تقديم حلول سحرية لعدة قضايا معقدة حيث قال ان: الامة التي لم تقوم نفوسها بالتربية السليمة ولم تثقف عقولها بالمعارف الصحيحة سبيلها الى بلوغ هذه الغاية ان تترك لولي امرها الذي ينهض بمهمة تهذيب واصلاح طباعها.[2]

التربية والتعليم عند محمد عبده من الفرد الى المجتمع:

لم ينظر محمد عبده الى التربية تلك النظرة الضيقة التي تقتصر وظيفتها على تعليم التلاميذ وشحن اذهانهم بالمعلومات والمعارف وانما نظر اليها من منظور اجتماعي على اعتبار ان لها قيمة في حل مشكلات المجتمع وتطويره وتحقيق تماسكه.[3]

كما انه سيطرت عليه نظرة التربية فاعتبر ان الانسان لا يكون حقيقيا الا بالتربية وهي عبارة عن السعادة الحقيقية فاذا تربى أحب نفسه لأجل ان يحب غيره وأحب غيره لأجل ان يحب نفسه.[4]

وأما عن نوع التربية التي يراها ويدعوا اليها فهي التي تستند الى الدين وتتبع تعاليمه وتتصل به اتصالا وثيقا لأنه يرى ان اي اتصال للشرق والشرقيين لابد وان يستند الى الدين حتى يكون سهل القبول شديد الرسوخ عميق الجذور في نفوس الناس.[5]

كما أنه يرى أن إصلاح حال المسلمين وإصلاح مجتمعاتهم يكون بإصلاح الأنفس أولا مستمدا فكرته من قوله تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ".[6] فبنظره أي ارتقاء للمجتمع ونهضته لا يتحقق إلا بالتربية وقد وصفها بمشكلة اجتماعية كما أشار إلى أن مرجع

---

[1] عبد الرحمان بدوي الامام محمد عبده و القضايا الاسلامية مرجع سابق ، ص79

[2] محمد عمارة الاعمال الكاملة مرجع سابق ص 157

[3] محمد فوزي عبد المقصود الفكر التربوي للامام محمد عبده ص مرجع سابق ص 26

[4] عبد الرحمان بدوي مرجع سابق، ص 78

[5] المرجع نفسه ، ص 83

[6] القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11

الارتقاء في عادات الأمة وأخلاقها هو التربية وليس القانون، فالتربية هي التي تنمي وتصلح والقانون هو الذي يحفظ ويحرس.[1]

أبرز الإصلاحات عند محمد عبده:

الجمعية الخيرة الاسلامية: كان الغرض من تأسيسها هو تربية أولاد الفقراء من يتامى حتى يحافظوا على عقائدهم وآداب دينهم ويستعينوا بيها للحصول على معيشتهم ورزقهم. ولم يكن الغرض منها الحصول على الشهادات للاستعداد للوظائف. بل ان مقاصدها ان تنزع من النفوس الاعتقاد بان التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام في الحكومة.[2] كما يجب ان يتعلم القراءة بلغة امته ويعرف ما يجب من احكام دينه ويتعلم الحساب والتاريخ وحفظ الصحة وآداب المعاشرة كما يجب ان تدوم مدة التعلم أربع سنوات على ان لا يتجاوز سن الخامسة عشر[3] اما المدارس التي اراد محمد عبده اصلاحها هي:

المدارس الاميرية:

هي مدارس ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية او التربية الصحيحة وانشات لتعليم اولاد الطبقة الغنية بعض العلوم مثل الطب والهندسة غير مبالين بالتربية والاخلاق وحتى يتمكنوا من تولي المناصب في الحكومة.

المدارس الاجنبية:

كان فيها اختلاف بين المذاهب بين المعلمين والمتعلمين وكانت ضعيفة من حيث التربية فقليل من المصريين من يرغب في تعليم اولاده فيها وقد احدثت نفور من طرف المسلمين.[4]

الكتاتيب الاهلية:

ان الكتاتيب الاهلية المنتشرة في القرى المختلفة هي امتداد للمدارس الاميرية حيث ان صلاح المدارس لا يكون الا بصلاح هذه الكتاتيب والمعلمون في تلك الكتاتيب لا يعرفون شيئا سوى حفظ

[1] محمد فوزي عبد المقصود مرجع سابق ص 4

[2] محمد عمارة الأعمال الكاملة، ج1، مرجع سابق، ص 173

[3] محمد عمارة الاعمال الكاملة مرجع سابق ص177

[4] المرجع نفسه نفسه، ص 115

القران لفظا بغير معنى،[1] كما يقترح الاصلاح المتدرج لهذه الفئة عن طريق وزارة المعارف او وزارة الاوقاف حيث ان معظمهم خطباء وأئمة مساجد.[2]

المكاتب الرسمية الابتدائية:

يقترح بإصلاحها من خلال ادخال مبادئ العلوم من وجهها العلمي مثل الحساب والمعروف في المعاملات التجارية التي ترتكز على البيع والشراء وتعويد الانسان على بعض الاعمال الزراعية او الصناعية.

المدارس التجهيزية والمدارس العالية:

يرى محمد عبده ان التربية مفقودة في تلك المدارس وانه يجب تأسيس التربية فيها لتعليم العقائد الدينية على الاصل الصحيح وتعليم آداب الدينية من اجل ان يعملوا بها لاحقا.[3]

مصادر الفكر الفلسفي والتربية عند محمد عبده:

لقد تأثرت افكار محمد عبده ببعض العوامل والتي اثرت على مسيرة حياته وساهمت في تكوين ثقافته وهي اربعة يمكن تصنيفها كالاتي: روح العصر والمناخ الثقافي، نظام التعليم الازهري، قراءاته الحرة، تأثره ببعض اساتذته.

1 روح العصر والمناخ الثقافي:

لقد اثرت البيئة التي عاش فيها محمد عبده على مسار حياته بداية من اسرته وقريته والمحيط العام خاصة الفترة التي عاصرها الامام كانت مليئة بالأحداث وهي الفترة الممتدة من بداية النصف الثاني من القرن 19 الى مطلع القرن 20 ففيها بدأت تتشكل ملامح فكرة حيث تأثرت معظم البلدان الاسلامية بالحملات الاستعمارية لأغراض عسكرية واقتصادية وكذلك شهدت هذه المرحلة بسط النفوذ الفكري والثقافي والذي تمثل في توافد البعثات التبشيرية ونشاط حركة الترجمة ومدارس

[1] محمد عمارة، مرجع سابق، ص 118

[2] المرجع نفسه، ص173

[3] نفسه، ص 122

التعليم المدني التي انتشرت في بعض البلدان العربية والتي تجلب اباء النخبة لتتشاهم عكس التي تقدمها مدارس نظام الازهر.

وفي المقابل بدأت تظهر في العالم الاسلامي بعض مظاهر التصدي والمقاومة لأفكار الغرب وظهور مقاومة للاحتلال وبروز نهضة ادبية وفكرية قصد ايجاد اتصال بين القيم الاسلامية والحضارة الغربية كل هذا لغرض استغلال نقاط القوة فيها بحيث لا يشكل اي خطر على العقيدة الاسلامية ولكن المشكلة هي التباين في الافكار والآراء الذي حصل بين رواد النهضة والمصلحين الا انهم خاضوا نضالا عنيفا ضد التقليدية الاسلامية عن امور العقائد والعادات والعبادات ومن أبرزهم الطهطاوي وعلي مبارك ومحمد عبده ...

ولعل من اهم مهامهم هي الدفاع عن الاسلام وابعاد الشبهات عنه ورد الاتهامات التي تحاكى عنه من قبل الاعداء.

ان بيئة محمد عبده التي عاش فيها والمحيطة به هي التي غيرت من افكاره وتكونت لديه افكار التي بدأت تنمو وتطور بالاحتكاك مع عوامل خارجية مثل نظام التعليم الازهري

ب- نظام التعليم الازهري:

بعد ان تجاوز محمد عبده سن العاشرة اتم حفظ القران ثم ذهب الى الاحمدي لتعلم تجويد القران وقواعد اللغة العربية غير ان منهج التعليم في الجامع الاحمدي كان وعرا يخالف ما تقضي به ابسط قواعد التربية وكاد الامام ان ينصرف عن العلم ويعود الى للزراعة لولا لقائه بأحد اخوال ابيه الذي استطاع ان يروض نفس الامام وان يوجهه الى المعاني القدسية واللذائذ الروحية ولعل اهم حادث التحاقه سنة 1866 بالجامع الازهري الذ مكث فيه 3 سنوات بدون فائدة حسب رايه لأنه لم يجني اي فائدة من الدروس وذلك عائد الى طريقة التدريس السائدة في الازهر فوصفها بالجامدة العقيمة لأنها كانت تفرض على طلاب العلم مختصرات لا فهم الا بشروح وحواش وتقارير وانما تزحم ذاكراتهم بحشد مشوش من المعلومات النحوية المتشابكة والتدقيقات اللفظية التي ترهق الفكر

وعوقه عن النمو.[1] فانصرف الشاب الى التطلع الى علوم جديدة ولكن المت به ازمة نفسية حاول ان يغير درب حياته الى الانقطاع عن العالم واعتزاله.

ان نظام الازهر في ذلك الوقت كان لا يخدم الطالب حيث يلقي عبئ الطالب كله على نفسه من غير ان يحمل اي أحد اي عبئ عنه فما عليه الا ان يسجل اسمه في دفاتر الازهر ثم يفعل ما يشاء، الى ان يتقدم الى لامتحان العلمية فهو يختار مدرسته ويختار علومه ويحضر او لا يحضر ويجد او يلعب ويفهم او لا يفهم كل هذا متروك الى نفسه، وهو اسلوب يفيد الخاصة ويضر العامة.[2]

والمعلوم ان نظام التعليم في الازهر لم يقتنع الامام به لأنه في نظره كان سلبي ولم يرقى الى المستوى المطلوب فكان مقتنعا بضرورة اصلاح الازهر اذ يقول في حوار له مع الشيح البحيري: ان كان لي حظ في العلم الصحيح فاني لم احصله الابعد ان مكثت عشر سنين اكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الازهر وهو الى الان لم يبلغ ما اريد من نظافة.[3]

ومن هنا تبين ان نظام التعليم في الازهر كان له الاثر السلبي على تفكير الامام ودفع به الى التفكير في الاصلاح واصلاح نظام التعليم في المدارس ومختلف الجوانب الاجتماعية والدينية.

تأثره بأساتذته:

الشيخ درويش: هو أحد اخوال ابيه جاءه وهو في لحظة عصيبة بسبب نفوره من الدراسة وشعوره باليأس بسبب نظام التعليم الذي وصفه بالجامد والعقيم وولعه بالزراعة وحب السلاح والخيل غير ان الشيخ درويش الح عليه من خلال كتاب للسيد محمد المدني وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل طلب منه ان يقرأها له بسبب ضعف بصره، ولكن الامام كان يرفض دائما غير ان الشيخ لم يترك له المجال وكان كل مرة يأتيه مصرا على قراءة الكتاب له بغرض شرح بعض المعاني

[1] د. عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبدهالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ،1996، ص 26

[2] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار النشر، بيروت لبنان، ص 250

[3] محمد عبده، مصدر سابق، ص194

وامام رفض المتكرر للأمام كان الاصرار. اخذ الامام يشرح والشيخ يسال حتى اليوم الخامس الذي قال فيه: لم يأت على اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شيء الى ما كنت احبه من لهو ولعب وفخفخة وزهو، وعاد احب شيء الى ما كنت ابغضه من مطالعة وفهم.[1] وقد ظهر جليا تأثر الامام بشيخه ومدرسه الشيخ درويش لأنه هو من لقنه اسس التصوف الذي يقوم عن الجد ومخالطة الناس وليس العزلة وقد اصطحبه معه الى مجالس العلم وحتى افكاره تغيرت واحسن ما قال عنه: تفرقت عني جميع الهموم، ولم يبقى الا هم واحد وهو ان اكود كامل المعرفة، كامل ادب النفس ولم اجد الا اماما يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذي اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيج....هذا الشيخ هو مفتاح سعادتي.[2]

حسن الطويل:

حسن الطويل هو الرجل الثاني والاستاذ الذي اتصل به الامام وكان له تأثير كبير على سيرة محمد عبده حيث وجهه الى العلوم العصرية وكانت له معرفة بالرياضيات والفلسفة واتصال بالسياسة وعرف بالشجاعة في القول بما يعتقد دون رياء. وقد حركت دروس الشيخ حسن الطويل ما كان يكمن في نفس محمد عبده ودفعت به الى البحث عن المزيد في العلوم العصرية.

لقد فتحت دروس الشيخ شهية الامام ودفعت به الى البحث والتوسع في البحث أكثر في العلوم. وقد داوم على حضورها وتعد تمهيدا لما تعلمه من جمال الدين الافغاني.

جمال الدين الافغاني:

كان الامام محمد عبده مصدوما يعيش بين الحيرة والاحجام، صدمته الحياة العامة كما يصدم بها كل شاب لاجئا الى خاله الشيخ درويش الذي صادفت سنة وفائه سنة لقائه بجمال الدين الافغاني الذي وجده بين طريق العزلة وطريق العمل مع الناس لأنه كان يدرس علوم العقل وكان جمال الدين قد مر بنفس الدور في سنه وكان قد زهد في صحبة الناس فاعتزلهم وخرج من طريق العزلة

[1] طاهر الطناح، مذكرات الإمام محمد عبده، دار الهلال، ص32

[2] عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، دار المجلس الأعلى للثقافة ،1996، ص 26

الى طريق العمل وكان يفهم ان الفناء في الله و اعتزالهم العالم.[1] وكما كان يقول لتلاميذه في رواية الشيخ عبد القادر المغربي: انا لا افهم معنى لقولهم الفناء في الله وانما الفناء يكون في خلق الله, تعليمهم وتنبيههم الى وسائل سعادتهم وما فيه خيرهم.

حضر محمد عبده لأستاذه دروسا نافعة في كتب المنطق والحكمة والتصوف واصول الدين ولكن الدروس الروحية التي كانت تسري في أحاديث هذا المصطلح العظيم كانت أعظم وقعا وأعمق اثرا من دروس الاوراق والاسفار. وهكذا فان تربية جمال الدين الافغاني لمحمد عبده وهو يخطو خطواته الاولى على طريق العمل والاصلاح انه يخلق فيه ملكة كانت معدومة فيه ولكنه رده الى طبيعته العملية وعزز فيه الثقة التي لا غنى عنها لمن يتولى عظائم الامور وينهض الى الغاية العصيبة والمطلب البعيد.[2]

كان محمد عبده أقرب الى نفس جمال الدين الافغاني فرأى هذا الاخير في عبده الذكاء وحسن الاستعداد والحماسة للإصلاح وقرا محمد في استاذه سعة العقل وصحة الارشاد والسمو في النفس ونبل الغرض وشيئا جديد لم يره في الازهر.[3] حيث قال محمد عبده عن استاذه ان ابي وهبني حياة اشارك فيها عليا ومحروسا والسيد جمال الدي وهبني حياة اشارك فيها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والاولياء والقدسين.

لقد أثر جمال الدين في محمد عبده تأثيرا كبيرا حيث اخرجه من عزلته وعزز فيه الثقة بالنفس والتي لم تكن طارئا على سليقة الطالب حيث كان معجا به فيساله مغتبطا راضيا: قل لي بالله اي ابناء الملوك انت؟ كما وجهه الى حياة النضال الفلسفي والاجتماعي ودفعة بالاهتمام بالعلوم الاخرى كالاهتمام بالإصلاح الفكري والديني، الاصلاح اللغوي والاصلاح السياسي. وكتب في الصحافة وأصبح في طليعة العاملين من اجل الاصلاح.

[1] محمود العماد، عبقري الاصلاح والتعليم، المؤسسة المصرية العامة ط 2 ، ص 124

[2] محمود العقاد، المرجع السابق، ص126

[3] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار النشر، بيروت لبنان، ص 292

ان النقص الذي شهدة محمد عبده في التعليم الازهري قد عوضه بصحبة استاذه جمال الدين حتى وان كانت رؤاهم مخلفة فكل منهما رسم طريقا مختلفا فجمال الدين اختار المنحنى السياسي بينما محمد عبده اختار الإصلاح التربوي لأن بها يصلح المجتمع مركزا على مبدأين اثنين أولهما تربية الشعب لفهم الحياة وتربية القادة لتوجيه الشعب، وثانيهما هو جعل الأساس المشترك في التربية هو إسلام القرآن الذي يبعث الشخصية الإسلامية الى أوجه كمالها ومنتهى عزها وغاية سعادتها.[1]

آثار محمد عبده:

ترك محمد عبده ارثا كبيرا من الكتب والرسائل والمقالات حيث كان كثير الكتابة والتأليف في مجالات كثيرة، وكان يعد مصلحا في المجال التربوي والاجتماعي وقد قسم الباحثون لسيرة الامام مراحل كتاباته حسب المراحل التي مر بها في حياته وتوزعت الى ما يلي: مرحلة ما قبل النفي – مرحلة النفي – مرحلة ما بعد النفي.

1- مرحلة ما قبل النفي: تميزت اول مرحلة في حياته الفكرية بالتقائه بأستاذه جمال الدين وتأثره به وكتب مقدمة للرسالة (الواردات) الفلسفية التي املاها الافغاني سنة 1872 م وكتب لمجلة الاهرام 1872 م. ولعل ما تميزت به هذه المرحلة أبرز اعماله الفكرية وهي مقالاته في الصحف: (تفريط جريدة الاهرام) (الكتابة والقلم) (العلوم الكلامية والدعوة الى العلوم العصرية) وقدم تقريظ الافغاني لكتاب (التحفة الادبية)

من أهم مؤلفاته:

كما يوجد العشرات من المقالات والتي نشرت اغلبها في صحيفة (الوقائع المصرية) مثل: عيد مصر مطلع سعادتها وحاجة الانسان الى الزواج وما أكثر القول وما اقل العمل والتمدن – المعرفة في المجتمع – الوطنية – الحياة السياسية –

اوهام الجرائد – العدالة والعلم – التربية في المدارس والمكاتب الأميرية– المعارف – مقابلة الشكر بالشكر– الدفاع عن حكومة الثورة العرابية – مفكرة الاحداث العرابية.[2]

[1] عبد الرحمان بدوي، الامام محمد عبده والقضايا الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص18

[2] د عبد الرحمان بدوي مرجع سابق ، ص 20

المرحلة الثانية: مرحلة النفي وتبدأ من 24 ديسمبر 1882 حكم عليه ب 3 سنوات غير انها امتدت الى 6 سنوات ثم دعاة استاذه الافغاني الى الالتحاق به في باريس وعمل معه على اخراج جريدة (العروى الوثقى) السرية والتي أصدر منها 18 عددا وكان عمله فيها المحرر الاول (رئيس التحرير). وزار عدة بلدان خلال هذه المرحلة منها لندن وتونس وبيروت سنة 1885.

وفي بيروت كتب (لائحة اصلاح التعليم العثماني) و(لائحة اصلاح القطر السوري) وشرع في كتابة (لائحة اصلاح التربية في مصر) وشرع في تحقيق كتب التراث العربي الاسلامي وشرح (مقامات بديع الزمان الهمذاني) و(منهج البلاغة) وترجم رسالة الرد على الدهرين للأفغاني عن الفارسية ومن الكتب التي شرحها: (نهج البلاغة) و(ديوان الحماسة) واشارات ابن سينا وكتاب التهذيب ومجلة الاحداث العدلية العثمانية والقى دروس التوحيد.[1]

مرحلة ما بعد النفي:

هي المرحلة التي عاد فيها الامام بعد حكم العفو عنه واقتصر نشاطه على العمل التربوي والثقافي والفكري ولم يعمل بالسياسة كما اراد العودة الى التدريس لكنه رفض من طرف الخديوي توفيق وذلك حتى لا تتاح له فرصة تربية اجيال جديدة على اساس افكاره وآرائه واهم اعماله الفكرية في هذه المرحلة هي: فتاويه واحاديثه للصحف والمجلات ورسالة التوحيد, تحقيق وشرح(البصائر النصيرية للطوسي) وتحقيق وشرح (دلائل الاعجاز) و(اسرار البلاغة) للجرجاني و(الرد هناتو) ومقالات في الاضطهاد في النصرانية والاسلام – (الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية) التي رد بها على فرح انطون 1902 م و(تقرير اصلاح المحاكم الشرعية 1899 م) وشارك في كتاب (تحير المرأة) لقاسم امين 1899 م ومقالات (المستبد العادل) و(الرجل الكبير في الشرق الاوسط) و(اثار محمد عبده في مصر) و(وصيته الاخيرة التي املاها بالفرنسية على الكونت دي جريفل ونشرها في كتابه (مصر الحديثة).[2]

[1] عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 22

[2] نفس المرجع، ص25/24

المبحث الثاني: مفهوم الاصلاح عند محمد عبده

مفهوم الاصلاح لغة واصطلاحا وشرعا:

ان مفهوم الاصلاح من المواضيع التي سال حولها مداد كثير وصرف لها من البحث والدرس والتحليل حيز كبير وكما لا زال ويزال هذا المفهوم من اهم المصطلحات معالجة نظرا للحاجة الماسة اضبط مفهومه وتحديدها واعطائه مفهوم ادق وذلك نظرا لارتباطه برغبات دعاة الاصلاح ومضامين مشاريعهم وراهم للتغيير والنهوض بالمجتمع.

فالإصلاح لغة: مشتق من الفعل أصلح، صلح، صلح وتدل على تغيير في حالة فساد اي ازالة الفساد عن الشيء.

صلح وهو خلاف فسد وصلح يصلح بفتحتين فهو صالح واصلحته فصلح وأصلح اتى بالصلاح وهو الخير والصواب وفي الامر مصلحة اي خير.[1]

صلح صلاحا زال عنه الفساد والشيء كان نافعا او مناسبا يقال هذا الشيء يصلح لك.[2]

" وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهم".[3]

المعنى الاصطلاحي للإصلاح:

وقد عرفه الامام الغزالي بعدما وضع واجب المسلم اتجاه نفسه بتهذيبه فقال: (ثم يعلم ذلك اي الذي قام بتهذيب نفسه وصلاحه ثم اهل بيته وتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم اهل محلته ثم الى اهل السواد المكثف).[4] فالإصلاح هو إزالة الخلل والفساد الطارئ على الشيء.

الاصلاح شرعا:

وردت كلمة الاصلاح 180 في القران الكريم في صيغ كثيرة قال الله تعالى" وأصلحوا ذات بينكم"[5] و"انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم"، "جنات عدن يدخلونها ومن صلح بين

---

[1] غريب الفيومي المصباح المنير المكتبة العصرية صيدا لبنان 1997 ص 132

[2] معجم اللغة العربية المعجم الوسيط القاهرة ط4

[3] قرآن كريم، سورة الحجرات، الآية 9

[4] مفهوم الاصلاح في القران الكريم كلية التربية 2008

[5] قرآن كريم، سورة الأنفال، الآية 1

ابائكم "وتبين في سورة هود" وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون". ان الاصلاح مقصود به ان يبعد اهله عن الهلاك[1].

أهمية التربية وعواملها عند محمد عبده:

اهمية التربية: ان ما يلاحظ ان محمد عبده اولى اهمية كبيرة للتربية والتعليم حيث كانت افكاره واضحة في هذا المجال، واراد بذلك ان يبين طريقة التعليم الصحيحة حتى يربي جيلا متعلما تعليما صحيحا لان العلم الحقيقي في نظره هو الذي يحافظ على كيان الامة ومقوماتها.

ولقد اقام محمد عبده العملية الاصلاحية على ركائز تعبر عن هوية الامة واصالتها ومنها:

التوجيه الديني للعملية التربوية: حيث طالب باعتماد الدين في البرنامج التعليمي لان غيابه يؤدي الى فساد التربية، وانحرافها عن مسارها لان الهدف هو اصلاح التربية واصلاح الرعية حتى يكون كل من الحاكم والمحكوم على علم بما لهم وما عليهم ويقول في هذا المجال: ان المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم، اصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا اكلة الاكل وطعمة الطاعم.[2]

إن النهضة التي كان يريدها محمد عبده تعتمد على التربية حيث تعتبر اصلاح للامة حيث قال: إن التربية هي اساس كل حركة اصلاحية وان بناء الاجيال الصاعدة هو الذي يحقق النهضة " الاصلاح لا يتم الا باستبدال رجال الحكومة او تغيير طريقة الحكم او تحسين اشكاله الادارية وانما هو نتيجة نهضة عامة تتغير فيها العادات شيئا فشيئا وينشا الافراد على حسن الاخلاق وسمو التفكير[3].

كما كان يرى ان التربية التي اساسها الدين والي تنبع من تعاليمه واكد على دور الدين في ذلك بقوله: مطلوبكم المحبوب هو العلم، كل مفقود مفقود بفقد العلم، وكل موجود موجود بوجود العلم.[4]

---

[1] محمد بن عبد الله الكيلاني، مجلة ديالي

[2] محمد عمارة الاعمال الكاملة، ج 3 ، مرجع سابق ص 366

[3] انور وجدي اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار، ط 1،دار الاعتصام، القاهرة، 1978، ص 135

[4] محمد عمارة، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص 159

– فالعلم عنده هو الاساس لكل موجود مؤكدا على الدين حيث قال ان العلم هو ما يبصر الانسان في الغاية التي يطلبها، ويهديه الى الحق الذي هو معقد النجاة ..... وهذا هو علم البشرية.... العلم محي للنفوس وهو علم آداب النفس وكل ادب لها هو في الدين.[1]

وكما يرى ان ازمة التربية تعود الى عجزها في تكوين الانسان المنشود، حيث ان الانسان أثمن رأسمال في الوجود الانساني وهو محور العملية التربوية حيث ان الانسان لا يكون حقيقيا الا بالتربية وهي ليست الا عبارة عن اتباع الاصول التي جاء بها الانبياء والمرسلين من الاحكام الحكم والتعاليم ... تعلم الانسان الصدق والامانة ومحبة النفس فاذا ترى الانسان أحب نفسه لأجل ان يحب غيره وأحب غيره لأجل ان يحب نفسه[2].

ومما تبين انه يظهر **قواعد مهمة في التربية عند محمد عبده وهي:**

– اتباع اصول الدين.

– التحلي بالصدق والامانة.

– محبة النفس.

–التحلي بالشجاعة والحرية الفكرية.[3]

عوامل أهمية التربية عند محمد عبده: كما ذكرنا سابقا عن الاهمية التي اعطاه الامام باعتبارها لها السبق والافضلية في اصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله ولقت افكاره تأييدا قويا وقد ابدى اهمية التربية اتي تكمن في عدة عوامل:

1– التربية عامل هام في تحقيق التطور والارتقاء: لان ارتقاء الشعوب حسبه يقاس بالمعارف والافكار فالأمة ذات البساطة في الافكار والمهارة في المعارف هي الاقوى سلطانا وغالية على سواها من الامم وفي موضوع اخر قال ان التربية هي التي تنمى وتصلح. وبالإضافة الى ذلك هناك تعقيب من طرفه فيقول ان: التأخر الحقيقي في البلاد هو عدم سريان روح التربية الشرعية

[1] جدلية العلاقة بين التربية و السياسة المكتبة الشاملة ص 50

[2] انور وجدي اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار، مرجع سابق، ص 135

[3] جدلية العلاقة بين التربية و السياسة ، ص 53

التي تجعل احساس الانسان بمنافع بلاده كإحساسه بمنافع نفسه وشعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار نفسه. واقتنع ان تقدم المجتمع لا يتحقق الا بالتربية وان الارتقاء التربوي هو اساس كل ارتقاء مادي.[1]

2- التربية عامل مهم عام في التنمية الاقتصادية للمجتمعات: لقد تفطن محمد عبده الى قيمة التربية في التنمية الاقتصادية للمجتمعات واهميتها في زيادة الثروة البشرية واشار ان الامم لا تقدر ثروتها بما تملك من موارد طبيعية بل بما تملك من ثروة بشرية متعلمة. كما يؤكد على ضرورة استغلال العنصر البشري في التربية لأنه اهم ما تملك اي دولة.[2]

3- التربية ضرورية لإرساء الديموقراطية السليمة: التربية تحرر الانسان من العبودية كما تكمن قيمة التربية في ارساء قواعد الديموقراطية فقد اوضح الامام ان الديموقراطية لا يمكن ان تنتشر في مجتمع جاهل فلا بد ان يسبق التعليم الديموقراطية. فالتربية والتثقيف هما السبيل لتكوين الراي العام.

من خلال استعراض أهمية التربية عند محمد عبده تبينت ان لها السبق والاولوية على غيرها من الوسائل الاخرى في تطوير المجتمع وتحقيق استقلاله.[3]

أسس التربية عند محمد عبده: كان محمد عبده شخصية فرضت نفسها ضمن رواد التجديد الاصلاحي وقد ظهر ذلك جليا في افكاره ومبادئه التي اعتبرها ضرورية في انشاء منظومة تربوية مناسبة تكون قادرة على مجابهة التحديات مناجل النهوض بالأمة ومواجهة الجهل وكان ذلك من خلال الاسس التي وضعها:

الثقة بالعقل: أولى الإمام اهتماما بالغا بالعقل في فكره الاصلاحي والتربوي لأن العقل بحسبه ينظر في الغايات والأسباب والمسببات والبسائط والمركبات وعلى هذا الأساس فإن وظيفة العقل

[1] محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للإمام محمد عبده، ص46

[2] محمد فوزي عبد المقصود مرجع سابق ،ص 47

[3] المرجع نفسه، ص48

ترتكز في إصدار القوانين والقواعد ولهذا مجال لدخوله الشيء من العلمية[1]. كما يؤكد على أن العقل يضمن صحة اصول العقيدة[2]. وجعل محمد عبده من شروط العقل حتى يكون مساهما في التجديد هي الحرية الفكرية وأن يكون متحررا من قيود التقليد والتبعية والبدع والضلالات.[3]

وهو يرى ان المسلم الحق الذي يعتمد على العقل في تقويم الامور ويضع البراهين العقلية التي توصله الى الحقائق، حيت هي تربية جديدة ترمي الى إطلاق سراح العقل وتحريره من القيود والجمود وتنمي ملكة البرهان العقلي. ولكم اهتمامه بإطلاق سراح العقل وتحريره لا يعني انه لم يضع له قواعد وحدود.

كما ينظر محمد عبده الى ان الاسلام قد أطلق العنان للعقل البشري ويربطه بمسالة حدوث العالم وقدمه[4]، ويوجد ما يدل على ذلك في القران الكريم في قوله تعالى: "**اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء**"[5]. ولو نرجع إلى اهتمام عبده بالعقل الذي ربطه بموضوع حدوث العالم وقدمه هو لم يخالف من سبقوه في ذلك كالغزالي بل قال إن الخطأ يكمن في رأيهم الذي قال: أن العقل الذي يدعو اليه عبده هو العقل الذي نادى به القران الكريم وقامت عليه الحضارة الاسلامية وهو مطلق كما صرح به نفسه في رسالة التوحيد. ما دام ان المرء لم يهتد الى الايمان بالله فاذا امن به فقد وجب عليه ان يجعل في حساب فكره ما جاء منه على سنة سله من الاسس الصالحة التي لا يمكن للعقل ان يتقبلها ولا لقلب ان يرضى بدونها.

ويقر الامام ان العقل لا يمكنه ان يستند وحده بالوصول الى ما فيه سعادة البشر، كما يرى ان العقل هو السبيل الوحيد لارتفاع الانسان من درك الحيوانية الى فطرة الانسانية.[6]

---

[1] محمد عمارة الاعمال الكاملة مرجع سابق ص 385

[2] جدلية العلاقة بين التربية و السياسة مرجع سابق ص 46

[3] محمد فوزي عبد المقصود، المرجع نفسه ، ص 45

[4] د عاطف العراقي العقل و التوير في الفكر العربي المعاصر قضايا و مذاهب و شخصيات دار قباء مصر القاهرة 1998 ص 195

[5] القران الكريم سورة الأعراف، الآية 185

[6] علال الفاسي مجلة دعوة الحق

ويقول محمد عبده ان التخلف في الدين جاء نتيجة اهمال العقل في العقائد،[1] بل ويصف العقل على انه ينبوع اليقين في الايمان بالله وعلمه وقدراته والتصديق بالرسالة فباستخدام العقل يستطيع الانسان الوصول الى اليقين وفي موضوع اخر يشير الى دور العقل في تحقيق الفائدة من العلم تكمن في وظيفته وهي ان يقتبس نور تلك المطالب من تلك البراهين, يقنع بذلك الطالب ويردع المنكرين على وجه لا نزيل العقل عن درجته وادراكه حسه[2]، واشهر ما قال عن العقل: العقل قوة من افضل القوى الانسانية بل افضلها على الحقيقة[3]، وكذلك ان العقل من اجل القوى, بل هو القوة الانسانية وعمادها والكون كله صحيفته التي ينظر اليها وكتابه الذي يتلوه, وكل ما يقرا فيه فهو هذاية الى الله وسبيل للوصول اليه.

حرية الارادة:

ركز محمد عبده في التربية على حرية الارادة وتعد عاملا اساسيا في فكره الاصلاحي لان الحرية مهمة كالعقل والثقة به حيث انه من مركزات الاسلام هو وجود العقل "فالعقل هو صاحب السلطان في المعرفة"،[4] حيث ان العقل هو الحجر الاساس للمعرفة الإنسانية وكان ذلك سببا ليجعل من محاور المناظرة والجدال لتحديد مفهومه ووظيفته.

كما نرى ان محمد عبده علا مقام العقل فهو قول دوما بان الدين الاسلامي هو الذي حر العقل من كل ما يكبله وانه أطلق سلطان العقل من كل ما قيده وخلصه من كل تقليد استعبده ورده الى مملكته، يقضي فيها بحكمه وحكمته مع الخضوع ذلك لله وحده،[5] والواضح في ذلك انه *في قضية* الحرية قد سعى دائما الى تحرير ارادة الانسان.

---

[1] د عاطف العراقي الشيخ محمد عبده بحوث ودراسات عن حياته و افكاره المجلس الاعلى للثقافة 1995 ص 266

[2] المرجع نفسه ص 267

[3] المرجع نفسه ص

[4] محمد عبده رسالة التوحيد ط 3 المركز المصري العربي 1989 ص 127

[5] د احمد سالم، مقال العقل و الحرية في فكر محمد عبده

إن العمل التربوي مرتبط ارتباطا وثيقا بحرية الارادة الانسانية حيث لا وجود لوطن بدون حرية كما قال محمد عبده لا وطن الا بالحرية[1]، وهي عامل اساسي ومهم في مشروعه التربوي لان اساس التربية تكمن في اخراج الانسان من دائرة السكون الى حب العمل والنشاط وبالتالي تحقيق امال الامة.

التعاليم الدينية الصحيحة:ركز محود عبده على التمسك بالتعاليم الدينية كونها اساسية في تنشئة الامة فقال: اول مبدا يجب ان يكون اساسا لتحلية العقول بالمعلومات اللطيفة والنفوس بالصفات الكريمة هو التعاليم الدينية الصحيحة.[2] حيث اكد على التعاليم الدينية الصحيحة والتمييز بينها وبين التعاليم المغلوطة التي اودت بالأمة نحو التقليد والتخلف وذلك نتيجة الفهم الغير الصحيح لتعاليم الدين, الذي يجب ان يأخذ بعقل واع وتربية ترغيبيه بما يرضي الله وليس بالترهيب وذلك ما يغضبه غير ان ذلك لا يأتي نجاحه الا بعد ان تكون القلوب الساذجة قد ملئت خشية من الله وتعظيما لجلالته وتبجيلا لمقام الألوهية بحيث لو ذكر اسم الله عند شيء حقق قلب السامع واضربت جوارحه خشية منه ورغبة, فيكون ذلك سببا لإقدامه على ما يرضيه من الفضائل ونفرته عما يغضبه من الرذائل فهذا هو اسهل الطرق واقربها للتربية والتهذيب.[3]

إن التربية التي تبنى على التعاليم الدينية الصحيحة هي التي تكون سهلة المأخذ واضحة المسلك فتشعر النفس عند علمها بطمأنينة وراحة لا يستطاع التعبير عنها بوجه من الوجوه. [4]

ان التربية الصحيحة هي التي تنشا انسانا قادرا قويا مستعدا للنهوض بالأمة على ان تكون التربية دينية منطلقها القران والسنة فيقول محمد عبده: ان القران هو مجتمع زبد الحكمة وأحاديث رسول

[1] احمد عزت سليم مجلة الساعة 29-10- 2022

[2] محمد عبده، رسالة التوحيد، تصدير د. عاطف العراقي، كتاب الثقافة الجديد ، القاهرة، ص 81

[3] محمد عبده، رسالة التوحيد، مصدر سابق 81

[4] محمد عبده الاسلام والرد على منتقديه المطبعة الرحمانية مصر 1928 ص129

الله هي خلاصة قوانين العمران لم يأمر الله بتدوينها في الطروس ونشرها بين سائر طبقات الأمة إلا ليتدبروا حكمها ويأتمروا بها فإنها ملاك السعادتين ومسالك الحياتين. [1]

التزود بالمعرفة: تبلغ المعرفة مكانة مرموقة في فكر محمد عبده لأنها في نظره هي التي تمكن الامة من بلوغ المقاصد وتقويها فبالمعرفة كانت الامة الاسلامية سابقا مشعل الحضارة وبفضلها ايضا تحولت الدول الاوروبية من حالة الجهل الى حالة التقدم وكذلك بفضلها تنهض الامة وتصبح متطورة وواعية. ان التعليم يمثل قوة الافراد والامم هو ثروة حقيقة في تحريك عقول البشر والاستثمار فيه يؤتي نتائجه لا محالة للفرد والمجتمع والدولة فيقول محمد عبده:" لا دين الا بدولة ولا دولة الا بصولة، ولا صولة الا بقوة ولا قوة الا بثروة، وليس للدولة تجارة وصناعة، وانما ثروتها بثروة اهاليها، ولا تكمن ثروة الاهالي الا بنشر العلوم فيما بينهم حتى يتبينوا طرق الاكتساب...[2]

ان الانسان هو المحرك نحو الغنى وهو يستطيع استغلال الامكانيات في موضعها وكل ذلك بالعلم والمعرفة فالمشكلة في نظر عبده هي مشكلة فقر العقول فيقول: ... وماذا تصنع الوسائل المهيأة إذا لم تجد من يستعملها فيما هي وسيلة له؟ وأي شيء تفيد الفرص إذا لم تصادف من ينتهزها؟ وهل يقطع السيف الصقيل بلا بطل؟ كلا.. فما فقر البلاد الا قلة الراشدين فيها، وما غناها الا كثرة المهتدين.[3]

وبالتالي ان خلاص الامة ومخرجها والذي ينقذها من التخلف هو التربية والتعليم فبهما يحدث التغيير الايجابي وعكسها هو الفقر الذي يحبط الامة وينشر الجهل فنادى محمد عبده الاغنياء الى المساهمة في تعليم ابناء الفقراء من خلال بناء المدارس فيقول: فعلى الاغنياء نت الذين يخافون من تغلب الغير عليهم وتطاول الايدي الظالمة اليهم اكثر من الفقراء ان يتألفوا ويتحدوا ويبذلوا من اموالهم في سبيل افتتاح المدارس والمكاتب واتساع دوائر التعليم حتى تعم التربية وتثبت

[1] محمد عبده مصدر سابق، ص 129

[2] محمد عمارة، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص 20

[3] نفسه، ص45

في البلاد جراثيم العقل والادراك وتنمو روح الحق والصلاح وتتهذب النفوس ويشتد الاحساس بالمنافع والمضار[1]. فحسب رايه على الاغنياء المساهمة في بناء المدارس من خلال الانفاق.

التحلي بالأخلاق الفاضلة : ان الاهتمام الذي اعطاه محمد عبده للتربية من اجل النهوض بالإنسان وتطوير الامة لا يقل درجة عن اولوية اخرى في تحقيق ذلك الا وهي الاخلاق الفاضلة فنتائج التربية لا تتجسد الا اقترنت بهذه الصفة فالأخلاق هي احدى الاسس التي يجب ان تراعيها التربية في نظره فيقول: "واما ان كان الشخص ... فاسد الاخلاق , وان كان عالما بجميع علوم الدنيا فلا ريب ان يكون شقيا في نفسه, وسببا في الشقاء لغيره, ولا تغني عنه المعلومات شيئا, بل ذهب بفضل الحكماء الى انه لا ينال العلم من اي نوع كان حقيقة الا تحلي النفس بالصفات الجميلة التي منها بل اعظمها حب الكمال الذي هو الداعي الحقيقي الى طلب العلم والبراعة فيه.[2]

وقد أشار محمد عبده الى دور الاخلاق المهم نحو التقدم والرقي حيث اشاد بذلك عندما قال: "فالفضائل هي مناط الوحدة بين الهيئة الاجتماعية وعروة الاتحاد بين الآحاد تميل بكل مهما الى الاخر الى من يشاكله حتى يكون الجمهور من الناس كواحد منهم، يتحرك بإرادة واحدة، ويطلب في حركته غاية واحدة، ومجموع الفضائل هو العدل في جميع الاعمال، فاذا شمل طائفة من نوع الانسان وقف بكل من احادها عند حده، لا يتجاوزه في عمله بما يمس حقا للأخر".[3]

العلوم الكلامية و العلوم العقلية: ان العلوم الكلامية ما هي الا احكام قطعية لتأييد القواعد الدينية بالأدلة العقلية القطعية حيث يتدرب المتعلم خلالها عل البرهان واسلوب الاقناع عند الطلب وهي مهمة جدا بالنسبة للمتعلم فيقول محمد عبده:" ان العلوم المنطقية انما وضعت لتقويم البراهين وتمييزا لأفكار غثها من الثمين، وتبين ان كيف تتركب المقدمات لإنتاج المطلوب، وبعد البيان ان اي مقدمة يصح ان تؤخذ في البيان، وايها يجب ان يقذف ويطرح، فهذا علم حقيق بان يتخذ سلما

[1] محمد عبده رسالة التوحيد مصدر سابق ص 158

[2] محمد عمارة، الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص30

[3] محمد كاظم ،العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى ، ص59

لجميع العلوم، ولا يعدل عن طلبه الا جهول ظلوم.[1] وقد ظهرت اهميتها من خلال رؤية محمد عبده حيث انه انتقد نظام التدريس في الازهر وطالب بإدراجها ضن اصلاحات التدريس.

العلوم العصرية: او ما يعرف بالعلم الاوروبي وهي التي بينت الفرق بيننا وبين الاوروبيين " كثروتهم وفاقتنا، وعزتهم وذلتنا، وقوتهم وضعفنا، وقدرتهم وعجزنا، وصولتهم وانهزامنا".[2] وهي علوم ضرورية للتحضر لأن العلم فيها خرج من الأذهان إلى الأعيان وتنزل من مرتبته الروحانية وتحلى في الصورة الجسدانية.

أهداف التربية عند محمد عبده: إن أهداف التربية عند محمد عبده ترمي الى اهمية التربية وترقى بها الى أنبل مهمة تزيد من قيمة الانسان وتندرج تحت هدف عام للتربية الا وهو بناء انسان قوي على اسس دينية محضة تربطه بربه وتمكنه من فهم الحقيقة. وفيما يلي نستعرض اهداف التربية

1- **الإعداد الروحي او النفسي:** ان التربية الروحية او الدينية تعاني من ازمة خطيرة فهي مهملة او شكلية في بع الاحيان فلا مكان في المجتمع قام بواجبه على الوجه الاكمل في تشجيع العبادات وتنمية الروح الدينية. فقد امن محمد عبده بأهمية الدين في تربية النفوس وتصحيح مسار عقيدتها في وقت اختلطت فيه عقائد الناس بالأوهام والخرافات كما اوضح قيمة تعاليم الدين واحكامه في ايجاد الملكات والصفات الفاضلة في النفس وترويضها عليها وابعادها عن الصفات الرذيلة والخرافات والبدع وقال: مقصد الجميع اي (المصلحين المسلمين) ينحصر في استعمال ثقة المسلم بدينه في تقويم شؤونه ويمكن ان يقال ان الغرض الذي يرمي اليه جميعهم انما هو تصحيح الاعتقاد وازالة ما طرا اليها من خطا في فهم نصوص الدين.[3]

2- تربية العقل: ان من أهداف التربية هي جعل الناس يستعملون عقولهم وكيف يفكرون وتحذيرهم من عواقب التفكير وتدريبهم على اساليبه السديدة حتى يستطيعوا شق طريقهم بنجاح

[1] محمد عمارة مرجع سابق ، ص15

[2] نفسه ص 18

[3] محمد فوزي، عبد المقصود، الفكر التربوي للإمام محمد عبده، مرجع سابق ص 50

ويدعمون بناء الحضارة ومن هنا كان اهتمام عبده بالعقل كوسيلة فعالة في تطوير الثقافة وترقية المجتمع فقد كان اهتمامه بهذه القوى المفكرة راجعا الى عدة اعتبارات اهمها:

أحكام قائمة على الاستدلال: لأنه من الاتجاهات العلمية الحديثة ينبغي أن يكون التفكير قائما على أساس التحقق بحيث لا يقبل الإنسان رأيا ولا يصل الى حكم الا إذا قام الدليل على صحته وسلامته وبين الامام هذه الحقيقة بقوله:" نحن منحنا العقل للنظر في الغايات والاسباب والمسببات وإدراك الفرق بين البسائط والمركبات".

العقل الانساني أداة تسهم في تحقيق التطور: بين الامام أن العقل هو قوة متطورة تساير التطور بمعنى انه ليس من الصحيح الاعتماد على تفكير ساد في عصرنا للاسترشاد به في عصر لاحق.

أحكام العقل تتميز بالموضوعية: فقد أوضح أن إحكام العقل الصحيحة تتميز بالموضوعية لأنه يقدم أدلة وبراهين تطابق الحقيقة ولا تخضع للأهواء الشخصية.

لا تعارض بين الدين والعقل: بين الامام أن الدين يرتكز على أصول قلية وأول هذه الأصول هي النظر العقلي لتحصيل الإيمان والأصل الثاني هو تقديم العقل على ضاهر الشرع عند التعارض بينهما فإذا تعارض العقل والنقل أخذ بما يدل عليه العقل محاولين بذلك تأويل ذلك الظاهر تأويلا يعطيه المعنى الذي يتفق مع احكام العقل[1].

والهدف من تربية العقول هو اخراجها من حيز البساطة الصرفة والخلو من المعلومات وإبعادها عن التصورات والاعتقادات الرديئة والوصول بها الى المعلومات الصحيحة حتى تحدث لها ملكة التمييز بين الخير والشر والضار والنافع ويرى ان تربية العقول لا يمكن ان تتحقق الا بوسيلتين: عدم التسليم بالأشياء الا بالأدلة والبراهين وهو ما تأخذه به طريقة التفكير العلمي وعبر عن ذلك قائلا أقرب الناس معرفة الى طريقة الحق الباحثون الذين ينظرون في الدلائل بقصد صحيح. [2]

وان يأخذ العقل مبدا الاجتهاد وقيمة الحرية للتفكير المتحرر من التقليد فالإمام محمد عبده يشيد دائما بمبدأ الاجتهاد ويحمل على المقلدين حملة عنيفة حيث يقول: "ان ابواب الاجتهاد لم توصد

[1] محمد فوزي عبد المقصود ، مرجع سابق، ص 51

[2] نفسه، ص 52

كما زعم البعض وأنها مفتوحة لجميع المسائل التي تثيرها ظروف الحياة المتجددة ويجب ان لا تكون الكلمة الاخيرة للنصوص البالية ولا للسلطات البائدة بل للحياة النابضة ولروح التجديد".[1]

الإيمان بالعلم: العلم في حد ذاته نشاط إنساني وعائد من عوائد استعمال قدراه العقلية فمجال العلم يشمل جميع الانشطة العقلية للإنسان المتصلة بفروع المعرفة التي تعمل على تطوير المجتمع وتحسين ظروفه وعلاج مشكلاته ويتضمن جانبين جانب معرفي وجانب اخر يمثل الاسلوب والمنهج الذي يتخذه للوصول الى النتائج ويهدف العلم الى تحقيق ثلاثة أهداف: التفسير والضبط والتنبؤ.

يعد العصر الذي نعيش فيه عصر العلم وتكنولوجيا الذي تميز بالتغيرات والتطورات المذهلة في المعرفة العلمية والاساليب التكنولوجية ولقد اصبح العلم بمفهومه الحدوث وطبيعته الديناميكية كمادة و طريقة ومنهج التفكير والبحث من الامور التي لا غنى عنها في المجتمعات المتقدمة والنامية لمواجهة المشكلات والتحديات في مختلف المجالات ولاشك إن هذه التغيرات والتطورات لها انعكاساها ومطالبها من التربية، فالتربية أصبح المطلوب منها تربية الإنسان العصري القادر على استخدام أسلوب علمي في تفكيره والتزود بالمعرفة وقد أكد الإمام على قيمة العلم وأهميته في تجديد ثقافة المجتمع والارتقاء به وسعى الى ان يكون الايمان بالعلم أحد أهداف الهامة التي تعمل التربية على تحقيقها متخذا المبررات الاتية:

– قيمة العلم تقاس بما يحقق – حقائق العلم قابلة للتعديل او التغيير – حقائق العلم تقوم على الدلائل – العلم لا يقتصر على العلوم النظرية بل يشمل العلوم التجريبية.[2]

الجاني الجسمي: لم تقتصر اهداف التربية عند الامام على الجانب الديني والعقلي والعلمي بل تعدت الى الجانب الجسمي بكونه مهم جدا في تحقيق القوة فكانت محطة اهتمام الامام وقد اوضح اهمية الرياضة البدنية في تقوية الجسم واكساب النفس الصفات المرغوب فيها وقد حرض على

[1] عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، دار المجلس الأعلى للثقافة، 1996، ص60

[2] محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للإمام محمد عبده، ص 53/52

هذا الجانب (الرياضة البدنية) لأثرها في بناء الاجسام فهي حسية مكملة لنشاطات الانسان الاخرى العقلية والفكرية والسياسية والخلقية.

الاعداد للمواطنة الصالحة: يبين الامام أهمية الوطن حيث أن الوطن لغة يعني محل الإنسان وسكنه وهو الوحدة التي تجتمع عليها الأمة وإذا ارتفع قدر الوطن فيعود بالشرف والعز على ساكنيه[1]، وإن التربية من أجل المواطنة تتطلب ما يلي: غرس حب الوطن والولاء له في نفوس الأفراد لأنه السكن الذي فيه الغذاء والوقار والاهل والولد، انه مكان الحقوق والواجبات التي هي على مدار الحياة السياسية، انه موضع النسبة التي يعلو بها الانسان ويعز او يذل او يستغل.

أهمية القوانين: القانون هو القاموس الحق الذي ترجع إليه الأمم في معاملاتها العمومية وأحوالها الخصوصية وهيئاتها النفسانية والقانون قد يكون متعلق بروابط الممالك وعلاقتها، او مضبوطا بالسياسة الداخلية كالإدارة المدنية والتدابير المنزلية أو عن أخلاق فاضلة وما يجب أن يتحلى به الإنسان منها وما يجب أن يبتعد عنه من أضدادها سواء كان في أمة واحدة أو أمم متعددة.[2]

ويشير محمد عبده الى أن القوانين لها مبادئ على الجميع أن يحترمها لأنها تضبط شؤون حياتهم.

إن التربية مطالبة بالحفاظ على النظام السياسي لأنها من بين أسسها هو تأمين الولاء للوطن وحشد الناس حوله والعلم بالمصلحة والحدود الشخصية وفهم القوانين واحترامها.

إن التربية التي يراها محمد عبده فعالة ولازمة وهي التي تحقق التماسك الاجتماعي ويجب أن تكون تربية غيرية مستنيرة فالعالم الحقيقي هو الذي يعلم الانسان بمن معه فيكون ذلك الشعور واحد وروابط واحدة[3].

غايات التربية عند محمد عبده: يقول محمد عبده فيما يخص العلم: ان مطلوبكم المحبوب هو العلم، كان العلم فيكم وكان الحق معه وكان الحق فيكم وكان المجد معه. وهذا يدل على ان العملية التربوية لها اهمية خاصة عند الامام والذي يراها اهم اصلاح لان التربية هي أكبر قوة

[1] محمد فوزي عبد المقصود، مرجع سابق، ص56

[2] نفسه، ص57

[3] نفسه، ص 59

تجعل من النهضة مشروع ناجح وكلها موجهة لخدمة الانسان وبها تتحقق انسانيته. ومن أبرز غايات التربية عنده هي تحقيق الحياة الطيبة للإنسان وبلوغ السعادة الدائمة للفرد وللامة فهي ترفع من قيمة الانسان العلمية والاخلاقية فان كنا نريد الحياة الطيبة والسعادة الدائمة فلنعمل لإصلاح شؤون الناشئين بالتربية المثقفة المهذبة ولنجد أنفسنا في طريق استكمال الاخلاق الفاضلة.[1]

ان سعادة الانسان هي مطلب اساسي في حياته وبعد مماته، ولا تكون الا بالتربية الصحيحة وهذا ما يقوله محمد عبده: من المعلوم البين ان الغرض الحقيقي من تأسيس المدارس والمكاتب والعناية يشان التعليم فيها انما هو تربية العقول والنفوس وايصالها الى حد يمكن المتربي من نيل كمال السعادة او معظمها ما دام حيا وبعد موته. فان الغاية هي بلوغ سعادة الدنيا والاخرة. ولعل غاية اخرى من غايات التربية هي تحقيق النهضة الشاملة للامة وترقية الانسان لان التربية مرتبطة بالإصلاح وهدفها النهوض بالأمة في جميع المجالات، لان الانسان لا يكون حقيقيا الا بالتربية حيث يقول محمد عبده إذا تربى الانسان أحس في نفسه انه سعيد بوجود الاخر معه كما انه علق على صلة التعاليم الاسلامية بطبيعة الانسان ومدى تأثيرها عليه تأثيرا توجيهيا سليما. وبالتالي هو يناشد بضرورة التربية في مشروعه الاصلاحي وبها يصاح حال الامة في جميع ميادين الحياة.

وغاية اخرى اشار اليها محمد عبده خلق انسان عربية مسلم يعرف تعاليم الدين ومتمسك بها متحرر الفكر والرؤية المستقبلية مثابر مطلع قادر على مواجهة الصعاب يملك زمام الامور وبهذه المواصفات يمكن حقيق النهضة للامة.[2]

[1] أمحمد شيلي، مذكرة اعداد اطروحة دكتوراه قيمة الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد عبده، مرجع سابق، ص285

[2] محمد عبده مصدر سابق، ص80

الفصل الثالث

دراسة نقدية

المبحث الاول: نظرهما الى المعرفة والعالم والانسان.

نظرية المعرفة عند اقبال:

ان الفكر والحدس او العقل والقلب ليسا متناقضين بالضرورة اذ هما يرجعان إلى أصل واحد وحتى يتكاملان في النهاية على الرغم من أن العقل هو من يدرك الحقيقة جزء أما الحدس فيدركهما جملة واحدة، وهكذا تتضح مصادر المعرفة عند اقبال التي هي الحس والعقل والقلب. ومصادرها الباطن او الوجدان (الطبيعة والتاريخ) ويقول ان رياضة الباطن ليست الا مصدر واحد من مصادر العلم والقران يصرح بوجود مصدرين اخرين.[1] ان رؤيته المعرفية تتماشى مع الوجهة القرآنية التي تقوم على الحواس والقلب والعقل وهي بذلك وجهة واقعية تعتمد على الحس والعقل والبصيرة وتعترف بدور كل مصدر في تحصيل المعرفة.

وسائل المعرفة عند اقبال:

الادراك الحسي: اهتم اقبال بالعلم الحسي في بناء المعرفة خاصة انها تتماشى مع الاسلام وهي حاضرة وواضحة في القران الكريم من خلال عدة آيات كقوله تعالى: "افلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت" [2] وهذا يدل على ان الحواس تساهم في بلوغ المعرفة وكذا قوله تعالى " الم ترى ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى". [3]

إن أهم ما دفع بإقبال الى اعتماد المعرفة الحسية هو أنها تعبر عن المنهج الذي أدخله العرب إلى العالم الأوروبي كما يقول إقبال: فأول نقطة هامة نلاحظها في روح الثقافة الاسلامية هي أنها في سبيل الحصول على المعرفة تجعل المحسوس المتناهي نصب عينيها.

وثانيا هو ظهور منهج الملاحظة والتجربة في الإسلام الذي لم ينشا عن توافق بين العقل الاسلامي واليوناني بل نتيجة صراع عقلي طويل فنظرية المعرفة عند اليونان اهتمت بالإنسان

[1] محمد قبال تجديد التفكير الديني في الإسلام، ط2، دار الهداية ص151

[2] سورة الغاشية، الآية 17-20

[3] سورة لقمان، الآية 20

واهملت عالم الغيب وخالقه وقد انتقد سقراط في قوله:" كان يرى أن معرفة الانسان معرفة حقة انما تكون بالنظر في الانسان نفسه لا بالتأمل في عالم النبات والهوام والنجوم وما اشد مخالفة هذا الروح القران الذي يرى في النحل على ضالة شانه محلا للوحي الإلاهي". ان أهمية المادة تكمن في أهمية المحسوسات وبالتالي إعطاء أهمية للقرآن.

الإدراك العقلي: إن العقل عند إقبال له أهمية كبيرة للوصول إلى المعرفة وارتقاء الإنسان لأنه يقوده إلى التأمل في ظواهر الوجود وهو نفسه الذي يخاطب به القران ويدعو إلى التأمل في الظواهر الحسية وذلك باستعمال العقل كقوله تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت". فالعقل هو وسيلة معرفية لا غنى عنها على غرار من سبقه من الفلاسفة القدامى.

ولقد انتقد إقبال كلا من الغزالي وكانط لأنهما اعتبرا أن العقل لا يستطيع الوصول الى المعرفة القطعية وهو يرفض القول بذلك, بل يراه يتجاوز تلك الحدود وذلك ما يوضحه قائلا: ولكن كانط والغزالي على سواء فاتهما أن يدركا أن الفكر في حركة غدراك المعرفة يتخطى حدود تناهيه والمتناهيات الطبيعية متنافرة فيما بينها وليست المتناهيات الفكرية كذلك لان الفكر بجوهره لا يقبل التقيد، ولا يستطيع البقاء حبيسا في نطاق ذاتيته الضيق[1]، وعلى الرغم من إيمان إقبال بفعالية العقل في تحصيل المعرفة فإنه لا يرجح كفته على القلب لأنه ليس مستعدا أن يقر بأن المعرفة الحقيقية لا يمكن الوصول اليها عن طريق العقل، وعلى الرغم من الأهمية التي أعطاها إقبال للعقل إلا أنه لا يقلل من المعرفة القلبية.

الادراك القلبي: (الحدس)

يذهب اقبال الى أن المعرفة القلبية هي وسيلة هامة في عالم الرياضة الباطنية للوصول الى كشف الحقيقة المعرفية فبصيرة القلب مكملة للإدراك الحسي فيقول:" لكي يكفل إدراك الحقيقة ادراكا كاملا ينبغي ان يكمل الادراك الحسي بادراك اخر وهو ما يصفه القران بادراك الفؤاد او القلب"[2].

[1] محمد اقبال ، تجديد الفكر الديني في الاسلام ، مصدر سابق، ص 14

[2] عبد الله انزكي، جريدة زمان التركية 4-3-2019

واستشهادا بقوله تعالى:" **الذي أحسن كل شيء خلقة وبدا خلق الانسان من طين ثم جعله نسله من سلالة من ماء معين ثم سواه فنفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون**".[1] كما أن القلب نوع من علم الباطن أو البداهة كما يصفها الشاعر الرومي فيقول: "إنه يتغذى بأشعة الشمس، ويصل بيننا وبين وجود الحقيقة غير تلك الوجوه المتاحة لإدراك الحواس، والقلب كما يفهم من القلب قوى ترى ما يتحدث به القلب لا يكذب ابدا إذا فسر على وجهه الصحيح.

وعلى الرغم من أن المعرفة القبلية هي رياضة صوفية أو روحية فهو لا يقلل من شأنها كونها تجربة لازمت الإنسانية وقت طويل إذ يقول: "وفي الكتب المنزلة والمؤلفات الصوفية للجنس البشري دلالة كافية على أن الرياضة الدينية صاحبت الإنسانية منذ أقدم العصور وتغلغل سلطانها في تاريخ البشرية إلى حد يجعل من العسير علينا نعدها وهما لا غير[2]، إنها تجربة أو رياضة تصل إلى النفس مباشرة وبالتالي لا تختلف عن غيرها من مستويات التجارب الإنسانية فكل التجارب مباشرة وتخضع للتأويل لتحصيل العلم بالله.

الرياضة الصوفية لا تقبل التحليل ولا تميز بين الذات والموضوع.[3]

المعرفة الصوفية معرفة مباشرة فلا يمكن نقلها لشخص اخر وذلك لان الحالات الصوفية أشبه بالشعور منها بالعقل.

إن نظرية المعرفة هي علاقة تكاملية بين الحس والعقل والقلب.

نظرية العالم عند اقبال: لقد شغلت مسألة وجود العلم وحقيقته تفكير العديد من الفلاسفة عبر الزمن سواء الغربيين أو المفكرين المسلمين ومنهم محمد إقبال الذي كانت تراوده بعض الأسئلة بخصوص الكون وطبيعته بالإنسان، ومن بين الأسلة المطروحة هي: ما طبيعة الكون الذي نعيش فيه؟ وما بناؤه العام أ هناك عنصر ثابت في تركيب هذا الكون؟ وكيف نكون بالنسبة اليه وأي

---

[1] سورة السجدة، الآية 7-9

[2] ا محمد إقبال، تجديد التفكير الديني، مصدر سابق، ص24، 25

[3] نفسه، ص28

مكان نشغله منه؟ وما نوع السلوك الذي يتفق وهذا المكان الذي نشغله؟[1] ان هذه الاسئلة مبنية على اسس قرآنية حيث ان الانسان فيه مخلوق لله ومدبر بأمره. فيقول اقبال: "إن أول ما يقرأه (القران) هو أن العالم لم يخلق عبثا لمجرد الخلق لا غير.[2]" مستندا بقوله تعالى:" **وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين وما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون** "[3]. فهذا العالم لم يخلق عبثا ولا باطلا وانما لغاية يعلمها الله تعالى كما ان العالم مرتب على نحو يجعله قابلا للزياد والامتداد حسب الآية الكريمة "**يزيد في الخلق ما يشاء**" [4]. فالعالم ليس كتلة وليس نتاجا مكتملا وليس جامدا او غير قابل للتغيير.

وبل ربما استقر في اعماقه حلم نهضة جديدة: "قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير".

الانسان عند اقبال: كان لإقبال موقف من الإنسان وتجلى ذلك من خلال أشعاره ومحاضراته من خلال إثبات الذات ونفي الذات وكتاب الخلود وذلك لأنه محور الحياة وهدفها المطلق وهو صانع ذاته ومجتمعه، كما أنه السبب في تدمير ذاته ومجتمعه إذا تهاون ولكن إذا كافح قوى حاله وتمكن من السمو والرفعة وأصبح صاحب المسؤولية في الحياة.[5] وحتى يحقق الإنسان مكانة مرموقة في مجتمعه ويصل إلى مرتبة رفيعة من السمو والإبداع فعليه أن ينمي ذاته ويطورها وكذلك يبدعها.

وفي نظر اقبال فالإنسان يستطيع ان يصنع المعجزات لأن وجوده وتقدمه الروحي يتوقفان على أحكام العلاقات بينه وبين الحقيقة وهذه العلاقات التي تنشؤها المعرفة هي الادراك الحسي والعقلي [6] ومن خلال الآية الاتية: "**واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالو أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون وعلم ادم**

[1] محمد اقبال المصدر نفسه ص 7

[2] المصدر نفسه ص 18

[3] القران الكريم سورة الدخان، الآية38

[4] القران الكريم سورة فاطر، الآية1

[5] محاضرات الطاهر بلعسل قسم الفلسفة جامعة الجزائر 2

[6] محمد اقبال مصدر سابق ص 21

الاسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالو سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت السميع العليم قال يا ادم انبئهم بأسمائهم فلما انباهم بأسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما كنتم تبدون وما كنتم تعلمون."[1]

يتبين أن الإنسان موهوب بالملكة التي تجعل له القدرة على وضع الأسماء للأشياء وبالتالي يتصورها ويدركها ويفهمها. وبالتالي المعرفة الإنسانية قائمة على الادراكية. وكذا يبين اقبال أن للإنسان أهمية لأنه هدف الحضارة ووسيلتها لذا لا يتخيل وجود الحضارة التي لا تركز على الانسان ولذلك اشاد اقبال بمكانته في ادبه حيث يقول تحت عنوان روح الارض تستقبل ادم:

فأتى الارض فـقالت إنـــه آدم جـــــاء
انـت يا ادم فاعــلــم كنت من طـين ومـاء
حولـك العـالم فانظـر وتمعـن في السـماء
لك ما في الكون ملك من بـحار وفضـــاء
هذه السحـــب جميعا هذه اليـــد الـــعـراء [2]

وكذلك سعى إقبال الى استرجاع شخصية الانسان المسلم المعاصر المسلوبة والتي اصبحت مفتونة بالإنسان الغربي الغافلة عن حقيقة العقيدة القائمة على التسامح والاحترام ويصف مكانة الانسان في الاسلام فيقول مقام الانسان الرباني تعلو على السماوات، ماهية الثقافة هي احترام الانسان.

كما جعله مقياس لأمته فيحقق حريتها وخلودها في هذه الحياة هو طاقة كونية ضخمة تتمثل فيها طاقات كل الوجود، ويؤكد اقبال على قيمة الانسان من خلال الجانب الروحي والنفسي في مواجهة صعاب الحياة فيقول: "والانسان إذا ما استهوته القوى التي تحيط به فانه يقدر على تكييفها وتوجيهها حيث يشاء، اما اذا غلبته على امره فانه قادر على ان ينشئ في اعماق نفسه عالما

[1] سورة البقرة الآية 30

[2] اعظم الندوي ،الذات في ادب اقبال مفهومها ومعالم بنائها و دورها في النهوض الحضاري للامة، ص 187

اكبر يجد فيه منابع السعادة والالهام لا حد لها ولا نهاية"[1]. وكما يؤكد على ضرورة تغيير الذات والتي لا تتم الا بالتربية اي تربية الذات الانسانية وذلك عبر مراحل وهي: الطاعة طاعة الله تعالى.

ضبط النفس: وذلك بخلق المقاصد وتحويرها وتجنيبها الخوف.

النيابة الالهية: وهي مرحلة الكمال الانساني وتحقيق الخلافة على أتمها والسيطرة على العالم [2]وفي هذه المرحلة يصبح الانسان قادر على التغيير فيغير نفسه والعالم.

نظرية المعرفة عند محمد عبده : لقد اعتمد محمد عبده في نظرية المعرفة على الوسطية الاسلامية والتي تقتضي التأليف بين ما أسماه الهدايات الأربعة: العقل، النقل، التجربة والوجدان والتي تزامنت وتكاملت في تحصيل المعرفة الإسلامية الشرعية والمدنية فأثمرت الثقافة والمعرفة الإسلامية المتوازنة في الجمع والتأليف بين هذه الهدايات للوصول الى المعرفة الوسطية التي يوقظ فيها العقل والقلب ويربط القلب حسابات العقول المجردة وتكتسب فيها التجارب والحواس آيات الله المبثوثة في الانفس والافاق ويضيف فيها النقل مالا يستطيع العقول، والحواس الاستقلال بمعرفته من نبا الغيب وعوالم الالهيات.

ان الهداية في اللغة هي الدلالة بلطف على ما يوصل للمطلوب كما منح الله الانسان اربع هدايات توصله للسعادة وهي: هداية الوجدان والالهام الفطري وتكون للأطفال منذ ولادتهم، هداية الحواس والمشاعر هي متممة للهداية الاولى في الحياة الحيوانية ويتشارك فيها الانسان والحيوان، هداية العقل خلق الانسان ليعش مجتمعا ولما كان ما اعطي من الهام ووجدان ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما اعطى النحل والنمل فحباه الله هداية هي اعلى من هداية الحس والالهام وهي العقل الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين اسبابه.

الهداية الرابعة الدين: يخطئ العقل في ادراكه كما تغلط الحواس فيهمل الانسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة لشهواته

[1] عباس محمود العقاد ، مرجع سابق، ص21

[2] امحمد اشيلي ،مرجع سابق ص 12

ولذاته ولذلك احتاج الانسان الى هداية ترشده في ظلمات الاهواء اذ هي غلبت على العقل وتبين لهم حدود اعمالهم ليقفوا عندها. وهناك نوع اخر من الهداية اضافها محمد عبده وهي ليست كالهدايات الاخرى هي لم تكن ممنوحة لكل أحد كالحواس والنقل والشرع ولما كان الانسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين وفي استعمال الحواس والعقل.[1]

فكان محتاجا الى معونة خاصة فامرنا الله الله بطلبها في قوله: "**اهدنا الصراط المستقيم**" [2]

ومعناها طلب المعونة من الله تعالى وذلك لحاجتنا اليه وهو اشد حاجة من كب شيء سواه.

يعطي محمد عبد مكانة مهمة للعقل والنقل في نظرية المعرفة ولكن في حدود ويراه ميدانا خصبا في بناء المعرفة لان غايتهما هو الوصول اليها.

العالم في نظر محمد عبده: يؤكد محمد عبده على أن العالم له بداية وله نهاية كما أنه نفى وجود الطفرة والصدفة فيقول من القضايا الأولية إن الطفرة محال أي كونك في مكان لم تكن فيه لا يمكن طفرة بدون قطع مسافة على اي وجه كان من المكان الذي كنت فيه إلى ما لم تكن فيه وإلا لزم عدم المسافة وكونك فيه قبل كونك فيه، وهكذا في كل شيء له بداية وله نهاية لا يمكن الوصول إلى الغاية إلا بقطع المراتب المتوسطة. [3]وفيما يخص مسالة الوجود فقد قسمها الى مراتب وهي واجب الوجود وممكن الوجود فيقول: "بان الشيء موجود من العدم إذا كان حقيقيا فلا بد أن يكون العدم اينا له أو متى أو جوهرا أو موضوعا او مادة اخر الوجوديات الممكنة، فيلزم وجود العدم والمعدوم، هذا خلف"[4] فالعلاقة بين مراتب الوجود تكمن في ان مكن الوجود لا يمكن ان يحدث الا بفعل واجب الوجود اي ان الكل يحتاج ال الله سبحانه وتعالى في وجوده. اما ما يخص مراتب الوجود ودرجاته يقول محمد عبده : فاعلم ان تنزله الى غاية التقييد من مرتبه غاية الاطلاق لا بد من قطع مراتب التقييدات التي بين المبدأ و المنتهى فقد وقع التجلي على مراتب التنزل الا لطف فاللطيف , وهكذا الى اخر مراتب التنزل وهو العالم الهيولاني الطبيعي . فجميع

[1] محمد عمارة ،المنهج الاصلاحي للامام محمد عبده مكتبة الاسكندرية 2005، ص15

[2] القران الكريم سورة الفاتحة، الآية5

[3] محمد عبده، رسالة الواردات، ط2، مطبعة المنار، مصر، 1925، ص14

[4] المصدر نفسه، ص 5

المراتب التي قبل العالم التي نسميها بالملائكة و السرادقات, و تسمى البعض عقلا و البعض نفسا و هكذا فكل مرتبة طلسم للتي قبلها..... و اقربها الى الوجود هو المسمى العقل لما انه امام جميع التعيينات , وملتقى فيضها من المبدأ الاول

واما النفوس الكلية المربية لعالم الناسوت هي اربه :

نفس ميكائلية وهي الحاملة لعرش الرب الذي هو هذا العالم وهي التي تركب كل ذرة من ذرات الوجود مع الاخر لأمر يقتضيه وهذا هو الرزق العام .

نفس اسرافيلية وهي التي بها حصل الحياة في كل ذرة من ذرات الوجود ومنها فيض الحياة العام , ونفس عزرائيلية و هي القابضة لروح الحياة من بعض ذرات الوجود . ونفس جبرائيلية وهي ادراكية للوجود الكليات و الجزئيات .[1]

الإنسان في نظر محمد عبده: ان الانسان في نظره هو مخلوق لله تعالى و ان الله خلقه في احسن صورة وجعله مميزا على سائر المخلوقات و يتبين ذلك في قوله تعالى: "لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم" [2] كما يرى ان الله خلق الانسان لغايات معينة واعطاه امكانيات كبيرة تمكنه من القيام بدوره في الحياة على اكمل وجه ولكن بحكم الطبيعة الانسانية قد ينحاز الى فعل الخير مثله مثل الشر وكل ذلك بسبب ثنائية تركيبه المادية والروحية، الجسمانية والنفسية حيث قال: عجيب في شانه فقد يصعد بقوة بقوه عقله الى اعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره ارفع معالم الجبروت ثم يصغر ويتضاءل وينحط الى ادني درك من الاستكانة والخضوع.[3] وحتى يتمكن الانسان من بلوغ حياة الكمال الانساني عليه المزج بين حياة المادة والحياة الروحية كما انه مزيج بين مدبرين فعالين هما المدبر العقلي الروحي والمدبر الحيواني حيث الاول وظيفته التذكير والمعرفة والثاني وظيفته السعي الى تلبية حاجات الانسان المختلفة والفرق بينهما الاول جعل الانسان متميز عن سائر المخلوقات والثاني يشترك فيه مع جميع المخلوقات، واما عن قوة الانسان فتكن فيما انعم الله عليه

[1] محمد عبده، رسالة الواردات ،مصدر سابق، ص 14، 15

[2] سورة التين، الآية4

[3] د محمد حسن الذهبي، مقال الدين و التدين 2-9- 2016

من نعم التي يعبر عنها بالهدايات كهداية الوجدان والدين وهداية العقل ... والتي بموجبها يجبر الانسان على توظيفها احسن توظيف لأنه مسؤول عما يترتب من افعال امام الله.

اوجه التشابه في نظرية المعرفة بين محمد اقبال ومحمد عبده:

اتفق كل منهما على تحديد الإطار العام للمعرفة وكانت لهما نزعة اسلامية التي تراعي العقل والنقل والعلم والدين ولها مكانة مميزة فيها لأنها تؤكد على التكامل بين العقل والقلب دون اهمال الحس.

ويتفقان على ان المعرفة الصحيحة لا يتعارض فيها القلب والعقل وكل مستلهم من النص الديني، كما ان الحقائق العلمية لا تعارض مع النصوص الدينية الثابتة.

ان المعرفة الدينية عند العالمين هي التي تدفع بالإنسان نحو العمل والنشاط ولا يتم ذلك الا بتحرر الفكر وتقوية الايمان بالعمل. وهناك نقطة يتفق فيها محمد اقبال ومحمد عبده كلاهما يقاومان التصوف السلبي عن طريق النقد.

اوجه الاختلاف : اختلفا كلاهما في نقاط تتمثل في ما يلي: على الرغم من انهما اتفقا على ان العقل يودي الى المعرفة لكن عبده قلل من دوره في عملية الادراك فغاية العقل هو ما ينتهي الى كماله في الوصول الى المعرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت الادراك الانساني جسا كان او وجدانا او تعقلا ثم التوصل الى معرفة منشئها وتحصيل الكليات لأنواعها والاحاطة ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها: وأما الوصول إلى كنه (حقيقته) ما فيها لا تبلغه قوته لان اكتناه المركبات انما هو باكتناه ما تركت منه وذلك ينتهي إلى البسيط الصرف وهو لا سبيل الى اكتنافه بالضرورة وغاية ما يمكن عرفانه منه هو عوارضه واثاره [1]. وهذا يدل على ان اقبال ينظر الى العقل له علاقة تكاملية مع القلب بينما محمد عبده لا يرى ضرورة تكامل بينهما.

[1] محمد عبده، رسالة الواردات، تصحيح محمد رشيد رضا، مصدر سابق، ص50

نظرتهما الى العالم:

أوجه التشابه

- كلاهما يرى ان العالم حادث وليس قديم وانه مخلوق لله وهناك غاية يسير العالم نحوها.

أوجه الاختلاف: لقد كانت نظرة اقبال اشمل من عبده خاصة في النصوص الدينية والمواقف الفلسفية فإقبال كان متأثرا بالفلاسفة القدامى امثال ديكارت ونيوتن اما محمد عبده مكان منطلقه من مفكري الاسلام امثال ابن سينا ومن افكار افلاطون التي كانت توافق المواقف الاسلامية ... فقط كان ينقصها مراعاة التقدم العلمي للوصول الى حقائق العالم والانسان **نظرتهما إلى الإنسان:**

اوجه التشابه:

في هذا الموضوع اتفقا المفكران بخصوص الانسان فكلاهما رأى انه مخلوق لله وان الله فضله وكرمه على كثير من خلقه ووهبه عقلا يشترط حسن استعماله فباستخدام عقله يستطيع الوصول إلى سلم الكمال، فهما يؤكدان على الجانب الديني والروحي في حياة الإنسان لأن به تسمو الاخلاق وهناك موقف اخر مشترك هو مساله الحرية الانسانية حيث يؤكدان ان الحرية والارادة من اهم قوى الانسان، وتجعله قادرا على أداء واجباته ومسؤولياته.

أوجه الاختلاف:

إن إقبال يمنح للإنسان حرية شبه مطلقة لان موقفه أكثر امتثالا للعقل اما عبده فهو يقيد العقل وبالتالي تقليل من ارادة الفرد.

تمهيد:

من أجل الوصول الى نظرية تربوية هادفة وصحيحة، لا بد من إصلاح واقع الأمة والتعليم المبرمج للدراسة عليه، وذلك ما سعى إليه إقبال وعبده بالرجوع والنظر إلى التعليم السائد وانتقاده، ودراسة حقيقة الغرب وأساليب مكره على الأمة الإسلامية. وعلى إثر هذا نطرح الإشكال التالي: كيف انتقدا اقبال وعبده الحضارة الغربية والتعليم في العالم الإسلامي؟

المبحث الثاني: نظرتهما إلى الحضارة الغربية والتعليم في العالم الاسلامي

نظرة محمد إقبال للحضارة الغربية:

لقد كانت للحضارة الغربية دور كبير في بلورة تفكير إقبال في إعادة التفكير الإسلامي مع مراعاة نتائج التفكير العلمي في أوروبا، فقد ارتبط ‘قبال بفلاسفة ومفكري الحضارة الغربية في السنوات التي أقامها في أوروبا ودرس فيها. مما يعتبر أحد رواد التجديد الإسلامي الذين انتقدوا الحضارة الغربية الحديثة وأنبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة.

لقد لاحظ محمد إقبال جوانب الضعف الأساسية في هذه الحضارة وتركيبها والفساد التي عجنت به طينتها لاتجاهها المادي وثورة أصحابها على الديانات والقيم الخلقية والروحية عند نهضتها. وعلل فساد القلب والفكر الذي اتسمت به هذه الحضارة بكون روح هذه المدنية غير عفيفة.[1]

إنه نوه بأساس الحضارة اللادينية وبأنها عجنت مع الثورة على الدين، فهي في خصومة مع الدين والأخلاق. فهي عاكفة على عبادة آلهة المادة مؤسسة لها معبدا جديدا، يقول في ديوانه: "ولكن إياك والحضارة اللادينية التي هي في صراع دائم على أهل الحق، ان هذه الفتانة تجلب فتنا وتعيد اللات والعزى إلى الحرام، إن القلب يعمى بتأثير سحرها، وإن الروح تموت عطشا في سرابها، إنها تقضي على لوعة القلب، بل تنزع القلب من القالب، إنها لص قد تمرن على اللصوصية فيغير نهارا وجهارا، وإنها تدع الإنسان لا روح فيه ولا قيمة له ".

ويقول أيضا: إن شعار هذه الحضارة الغارة على الإنسانية والفتك بأفراد النوع البشري، وإن شغلها الدائم التجارة، إن العالم لا يسعد بالسلام والهدوء وبالحب البريء النزيه والإخلاص لله إلا حين تنهار هذه الحضارة الجديدة ".[2]

انتقد إقبال السياسة الغربية في مختلف أشكالها من عدة وجوه منها أنها قائمة على الإلحاد والمادية العقلانية، والسياسية القائمة على هذه الأسس لن تخلو من الظلم والفساد والطغيان منها انها تقوم على التفرقة بين البشر وعلى الاستغلال والنهب والاستعمار والمكر والاحتيال. ففي نشيد له

[1] أبو الحسن علي الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، الكويت، دار القلم، ط4، 1983 م، ص81

[2] نفس المرجع، ص 82

يشتكي إبليس إلى الله تعالى، يقول: "يا رب العزة، أنه لم تبق حاجة لوجودي في الكون لأن أصحاب السياسة في هذه الأيام قد أصبحوا أبالسة للجماهير."[1]

يرى إقبال أن "الشعب الذي لا يملك الهدى المنزل من عند الله فنهاية كمالاته ومبلغ علومه المادة والآلات، بينما حكومة الآلات تميت القلوب وتقتل شعور الإنسانية والمروءة " فالإنسان الغربي قلبه ميت وضميره مجرم وروحه مظلمة داخل البشرة البيضاء، وعقله فاسد وشعوره خامد. يقول إقبال: "لقد أصاب البلل شعلة الافرنج ولا توجد فيها حرارة، فعيونهم مبصرة لكن قلوبهم ميتة".[2]

وينظر محمد إقبال إلى الرأسمالية والشيوعية كفرعين من دوحة المادية وأسرتين للحضارة الغربية، إحداهما شرقية والأخرى غربية. تلتقيان على النسب والتفكير المادي، والنظر المحدود للإنسان، ويقول بلسان جمال الدين الأفغاني:" إن الغربيين فقدوا القيم الروحية والحقائق الغيبية، وذهبوا يبحثون عن الروح في (المعدة) إن الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم، ولكن الشيوعية لا شأن لها إلا (بالمعدة والبطن) وديانة (ماركس) مؤسسة على مساواة البطون، إن الأخوة الإنسانية لا تقوم على وحدة الأجسام والبطون، إنما تقوم على محبة القلوب، وألفة النفوس."[3]

ويسيء إقبال الظن بدعاة التجديد، ويكشف ستره بأن هذا التجديد ما هو إلا حيلة لتقليد الغرب، ويدل بشدة على التغريب، ويعيب على من تبنى التغريب. ويدعو المسلم إلى الاعتزاز بشخصيته وكيانه، ويرى أن الذي يأتي بالجديد في هذا العالم الذي يتجدد دائما، هو نقطة الدائرة التي يطوف حولها الزمان. يؤكد إقبال أن الحضارة التي تسير نحو الموت لا يمكن أن تحيي المسلمين الذين فتنوا بها، وعميت عن رؤية الحقيقة، يقول:

كيف تجلى حقائق العيون عميت بالخضوع والتقليد

كيف يحي الفرنج عربا وفرضا بفنون تسير نحو اللحود[4]

[1] خليل الرحمان عبد الرحمان، محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية قسم الدراسات العليا الشرعية (فرع العقيدة)، جامعة أم القرى 1405هـ، ص 207

[2] نفس المرجع، ص267

[3] أبو الحسن علي الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية، مرجع سابق، ص. 84

[4] بدران مسعود بن لحسن، المدخل النقدي لإعادة بناء الفكر الإسلامي، ص65/64

نظرة محمد إقبال إلى التعليم في العالم الإسلامي:

نظر محمد إقبال إلى نظام التعليم الحديث، فرأى فيه مواضع ضعف كثيرة، وجوانب نقص عظيمة، فتناولها بالانتقاد في صراحة وشجاعة، ولفت إليها أنظار الرجال القائمين عليها، وذكر من جنايات المدرسة–ويقصد بها نظام التعليم الحديث– على هذا الجيل شيئا كثيرا تفيض به دواوين شعره، يقول:" لقد خرجت من المدرسة (الزاوية) حزينا، لم أجد فيها الحياة، ولا الحب، ولا الحكمة ولا البصيرة." ويقول في بيت آخر: "أما رجال المدرسة ففاقدو البصر، وميتوا الذوق، وأما شيوخ الزاوية فقاصروا الهمة، ضعيفو الطلب، قليلو البضاعة."[1]

يرى محمد إقبال أن المدرسة هي المسؤولة عن وضع الشباب وهي التي نزلت عن مقامه الرفيع إلى المحل الوضيع يقول:" أشكو إليك يا رب! من ولاة التعليم الحديث، إنهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور، وأشبال الأسود تربية الخروف". ومن أكبر أسباب هذا الضعف الذل والتقدير الزائد للمادة، والنظر إلى الوظيفة والمرتبة كغاية للتعليم. يقول: "إن ذلك العلم سم نافع للأفراد الذين ليست لهم غاية، إلا حفنتان من سعير".[2]

لا يأتي العلم عن طريق الرواية والخبر والنقل، بل عن طريق الشهود والبصيرة، العلم الأول هو الظاهر والثاني هو الباطل، الأول من يقف في ظل الدار، والثاني من يدخل فيه، وهي نفس الصورة التي استعملها برغسون في الفرق بين العقل الحدس. العقل الذي يرى كنيسة نوتردام من الخارج، والحدس الذي يدخل فيه. يقول إقبال:

شأننا في الدين لا يعدو الخبر وهو في الدين شــهود ونـــظر

نحن عند الباب في ظل الشجر وهو في الدار وفي مجنى الثمر[3]

فإذا كانت حال المدرسة لا مبالاة كيف تنتظر من إنسان أن يصنع ويبد بل انتظر منه الجمود والخمود فلا يستطيع التعلم إلا بالتصوير المحسوس.

[1] أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، دار الفكر بدمشق، ط1، 1973هـ/1960م، ص 41

[2] نفس المرجع، ص 43

[3] د. حسن الحنفي، محمد إقبال فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006م، ص353

إن محمد إقبال يتمنى للإسلام جيلا جديدا، شبابه "طاهر نقي، إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الشرى، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل. هذا مع الاعداء وذاك مع الأولياء، إذا تكلم كان رقيقا، وإذا جد في الطلب كان شديدا خفيا، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفا نزيها آماله قليلة، ومقاصده جليلة غني القلب في الفقر، فقير الجسم والبيت في الغنى ....."[1]

يقول إقبال أن المدرسة وسيلة وسبيل إلى المعاش وهي لا تقدم بالإنسان على جهاد الحياة بل تهبط بالفطرة وتحجب عن الإنسان أسرار الخليقة وان يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيرا من المدارس بها.

ملك الموت عصـــرنا يتوفى كـــل نفس بفكـــرة في المعاش

يرجف القلب مــن كفاح حياة وهي موت لمشفــق من هــراش

أبعد الدرس عن حجاك جنونا صــاح بالعقل: لا تلذ بـــنقــاش

حجبت دونك المدارس سرا هو فـــي البـــيد والرواسخ فاش[2]

ويقول: إن كان القصد تربية النشء فلا تجدي هذه الأشعة الحائرة المتفرقة، تربية الشيء تقتضي أن يؤثر الأساتذة في التلاميذ تأثير أشعة الشمس المتجمعة في الأحجار النفسية.

إن كان تربية الياقوت مقصـــدنا فما شعاع رمته الشمس حيران

وما المدارس أو ما الدارسون بها وللروايات عم الأرض إذعــان

كانت جديرا بقود العصر أدمـــغة يقودها العصر ما فيهـن نكران[3]

صرخة إقبال جاءت على شكل توجيهات ونصائح للأساتذة والمعنيين بالتعليم في البلاد الإسلامية، والتي منها:

[1] روائع إقبال، مرجع سابق، ص49

[2] مجمد إقبال، ضرب كليم (إعلان الحرب على العصر الحاضر)، ترجمة عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي، 2014، ص68

[3] نفسه، ص69

ينبغي أن يخلى القلب حينا من الأفكار المتزاحمة التي تشغله لفرغ للواردات النفسية والمعاني الروحية العالية يقول إقبال:

ضمير أولى المدارس في ازدحام بأفكار كما امتـلأ القـــفيز

وهذا العـصر ماض في هـــواه جمـــيلا من قبـــيح لا يميز

ففي جنيــات قلــبك أخــل بــيتا عسى يشوي به ضعيف عزيز

العقيدة في المدارس لا فعالية لها والأديرة خاوية بلا أسرار، بالرغم من طول الطريق ووعرته، تتساءل العينان والقلب حيران. يقول إقبال:

غصن العقيدة في المدارس عار ومـذاق أديـرة بلا أسـرار

بالرغم من طول الطريق وعسره عيناك ظاعنة وقلبك سار[1]

من كان له نظرة سهم لا يحتاج على الكتاب والديوان، إنما العلم هو الذي يقوم على العرفان والمشاهدة. يقول إقبال:

من كان في نظرتهم سهام منهم خلا الكتاب والديوان

لكنما الدار التي سراج أنت لها مذاقها عرفان[2]

نظرة محمد عبده إلى الحضارة الغربية والتعليم:

نظرة محمد عبده إلى الحضارة الغربية:

وإذا ذكر الأفغاني لا بد من إكمال الصورة وذكر معه تلميذه محمد عبده، والذي جعل لنفسه تلميذا من أبر التلاميذ له. حيث أثر بشكل كبير على نشأته وتطوره، قرأ فيه الذكاء وحسن الاستعداد وطيب القلب والحماسة للإصلاح. وقرأ محمد عبده في أستاذه سعة العقل، وصحة الإرشاد والسمو في النفس. استفاد من جمال الدين الأفغاني تحولا من تصوف خيالي إلى تصوف

[1] محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، مرجع سابق، ص358

[2] ضرب الكليم، مرجع سابق، ص 71

فلسفي عملي، وشوقا إلى الإصلاح الديني والخلفي والاجتماعي، نال الشيخ محمد عبده شهادة العالمية من الأزهر وعلم في دار العلوم، ومدرسة الألسن، واتصل بالحياة العامة.

إن محمد عبده ودراسته للثقافة الغربية أدرك حقيقة تفوق الغربيون على المسلمون والعرب، إلا أن المحافظة على النفس تقتضي مواجهة هذا التحدي في شجاعة والانتقال إلى الهجوم بغية الدفاع عن الإسلام. إن المسلمين انتقدوا عنصرا واحدا لو توفر لَحوَّل كل العلاقة القائمة بين الإيلام والغرب، وذلك هو العلم بم يقصد الإصلاحيون بالعلم موقفا أو أسلوبا عقليا بل قصدوا سرا يمنح مالكه القوة تلقائيا يقول جمال الدين الأفغاني: "فحياة الشرقيين بالعلم الصحيح– موت لحكم الغرب فيهم، وفك الحجر عنهم."[1]

لقد تألفت قوى الأمم الأوروبية من عناصر هي العلم والأدب والتجارة والصناعة والعدل والدين والسلاح. وذكرت الدين في جملة عناصر القوة، لأن "هانوتو" لا ينكر أن أوروبا تعتمد على الدين في سياسة الاستعمار، وأن المرسلين والجمعيات الدينية من أهم الوسائل لديها في إعداد الشعوب إلى قبول سلطانها عند سنوح الفرص لسوقه إليها وتهيئة نفوس الأمم لاحتمال ما يقضي به ذلك السلطان متى أظلهم. وفي فتح المغالق التي لا يستطيع السلاح وحده أن يفتحها، وتهميد الأمور المسلمة التي لا يجادل فيها عارف مثل "هانوتو".[2]

كما أثبت الفهم الصحيح للإسلام، أن الإسلام ليس منتزها من الفساد وليس معصوما عن النقد. كشف الفهم الصحيح لأوروبا كم هي مدينة للإسلام، قال المصلحون إن حتى النظريات الثورية الأخيرة في العلوم لها جذور في كتابات المسلمين. فالعلماء المسلمون سبقوا "داروين" يقول عبده: إننا، فقط نستعيد ما كنا قد أعطيناه أصلا" لكن عبده شدد على العناصر الأصلية للحضارة الأوروبية.[3]

[1] هشام شرابي، المثقفون العرب، مرجع سابق، ص55

[2] محمد عمارة، الاعمال الكاملة، ج3، مرجع سابق، ص 239

[3] هشام شرابي، مرجع سابق، ص 56

كان يرى أن النهوض بالأمة إلى مستوى أعلى من الثقافة والتربية، ليس بالأمر الهين كما كان يتصور بعض من كانوا يظنون أنفسهم متعلمين، كما كان يرى أن الأمر ليس مجرد تحصيل شتات من العلوم الأوروبية أو محاكاة الأوروبيين في أحوال معيشتهم.[1]

وهكذا فإن إعجاب محمد عبده بالمدنية الغربية ودعوته إلى الاستفادة من نتائجها، لم يكن إعجاب المقلدين المنبهرين ببريقها والباقين إلى استلهامها بقضها وقضيضها، وإنما كان إعجاب المفكر المبصر لحاجات أمته ولطبيعة مجتمعه وثوابت ملته، ولذلك وجدناه غير مبالغ في التغني بمظاهرها (المدنية الغربية) إذ يقول: "قد خالفت في الدعوة رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة، طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هم في ناحيتهم". فهذا الموقف الوسط هو الذي دفعه إلى انتقاد التعليم في المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات التبشيرية تماما مثلما انتقد الأزهر والمدرسة التقليدية التي رأى بأن إن كانت لأصحابها عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة.[2]

نظرة محمد عبده إلى واقع التعليم في العالم الإسلامي:

كان يرى محمد عبده أن الإصلاح الحقيقي يكمن في إصلاح المدرسة لأنه كان يرى التدهور الحقيقي في التربية والتعليم واحتياج مجتمعه إلى إعادة النظر في أسباب ذلك والمشروع في تعديله وإصلاحه وبما لا يمس خصوصيات وتوازن المجتمع وتميزه عن غيره، فالفكر التربوي يحتاج إلى البحث والتحليل لأنه يعمل كمؤثر في العملية التربوية والتعليمية.

لقد أقر محمد عبده أن البرنامج التعليمي لا بد من اعتماده على الدين لأن في غيابه تفقد التربية أساسها وهدفها وصحتها يقول: "إن المسلمين كما كانوا علماء في دينهم، كانوا علماء الكون وأئمة العالم، أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود، وأصبحوا أكلة الآكل وطعمة الطاعم" [3]

[1] هشام شرابي، مرجع سابق، ص 47

[2] أمحد شيلي، قيمة الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد عبده، مرجع سابق، ص 181

[3] أثر التربية والتعليم في نهضة المجتمع الامام محمد عبده نموذج، ص4

كان محمد عبده يدعو إلى تربية تستند إلى الدين وتتبع من تعاليمه بسبب "احتقار النظام والتأثر بالوساوس" عند المصريين يقول "إن أنفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعا فيها، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح التربية التي أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويحقق سعيه وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية من عهد محمد علي إلى اليوم، فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فسادا. وإن قيل أن لهم شيئا من المعلومات –فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم."[1]

إن القليل من المصريون يبعثون بأولادهم إلى الدراسة بالمدارس الأجنبية، وذلك بتوصيتهم بعدم الالتفات إلى ما يقول المعلمون للابتعاد عن المغالطات والتأثيرات التي يمكن أن تزيغ عقولهم وتبدل مواقفهم وقلوبهم، لأنها كانت تقوم على سلخ الأمة عن عقيدتها وحضارتها.

يرى محمد عبده أن المدارس الأميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة والتي بينت سوء التعليم عند منشأها محمد علي، حتى جاء إسماعيل لتوسيع نطاقها غير أن ما أتاه من ذلك كان صوريا ليقال له في حكومته مثل ما لأوروبا في حكومتها. ولم يكن القصد منه تربية العقول ولا تهذيب النفوس ولا تحصيل رجال يصلحون لتوالي أعمال الحكومة.[2]

وحتى في زمن إسماعيل باشا لم يكن التعليم بهدف تكوين الفرد وفكره وعقله بل كانوا يخدمون غايتهم وهدفهم يقول عبده: "ولو كشفنا عن أذهان التلامذة لم نجد فيها غاية لتعلمهم سوى أن يعيشوا كما عاش غيرهم على أي صفات كانوا، ولو استفرغنا أذهان المعلمين لم نجد فيها من المقاصد سوى أنهم يلقون ما يجدونه في الكتب المقررة للتلامذة ويطالبونهم بحفظه ..... وعلى مثل ذلك كانت مكاتب الأوقاف لا تزال. فإن استمر السير على الطريقة المعروفة الآن كانت

[1] الاعمال الكاملة ج1، مرجع سابق، ص 162

[2] الاعمال الكاملة الجزء3 ، مرجع سابق، ص 115

النتيجة دائما كما بيناها فلا يؤول ذلك بالمصريين إلا أن يكونوا رعية صالحة لأن تكون بدنا لرأسه أو آلة لصانع."[1]

اشترط علي باشا مبارك أن مدرسة "دار العلوم" يكونوا تلامذتها من الأزهر، ويدرسون بها دروسا إلى أن يكونوا أساتذة في العلوم العربية والدينية في المكاتب والمدارس الرسمية إلا أن هاته المدرسة كانت مخصصة لتكون معلمين للجمع بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الحديثة. يقول محمد عبده: "..... مع إنه لم يكن الغرض منها إلا تكوين أساتذة قادرين على التربية عارفين بالعلوم الدينية والعربية حق المعرفة، لا يقيمون عليها من النظار إلا جاهلا بالدين واللغة العربية، بل غير معتقد بالدين بالكلية، كما فعلوا سابقا ويريدون أن يفعلوا في هذه الأيام، ولا يعينون فيها من المعلمين للدروس الدينية إلا من يقصد تعيشتهم بمرتباتهم..... والكل لا عناسة له بأمر التربية ولا يهمه فساد أخلاق التلامذة أو صلاحها ولا استقامة عقولهم وأفهامهم وإعواجاجها."[2]

لم يشمل نقد محمد عبده للمدارس الأميرية فقط بل أيضا الكتاتيب التي لابد من النظر إليها لأنها هي المغذية للمكاتب المنتظمة التابعة للمدارس والمعارف والأزهر قوله: "فإن كان الغذاء فاسدا كان المزاج المتغذي أشد فسادا. "وأيضا: "إذا كان في أذهانهم شيء باسم الدين فما هو إلا الزائد الضار دون الأصل النافع."[3]

رأى محمد عبده أن التعليم هو الطريق الذي يستطيع به إنقاذ المجتمع المصري وإصلاح برامج التعليم من اجل مجتمع مسلم أو صالح وقدم مذكرتين من اجل ذلك.

الأولى: قدمها في بيروت إلى السلطات العثمانية بعد إعلان شيخ الاستانة عن صدور إرادة سنية بإصلاح المدارس والتعليم عن السلطان عبد الحميد.

الثانية: قدمها في القاهرة إلى اللورد كرومر بعد عودته من منفاه...

[1] الأعمال الكامل، مرجع سابق، ص 115

[2] نفسه، ص123

[3] أمحمد شيلي، قيمة الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد عبده، مرجع سابق، ص 118

ففي **اللائحة الأولى:** بين محاولة الأجانب استغلال الضعف والانحطاط عن طريق المدارس المنتشرة في الدولة العثمانية كما بين ضرر هذا على المكاتب والمدارس الاسلامية الخالية، من التعليم الديني والمشملة على ..... منه لا يتجاوز احكام العبادات على وجه مختصر.

أبر ما جاء بها ان قسم عبده الناس إلى طبقات وبين لكل طبقة الكيفية المناسبة لها

الطبقة الاولى: هم أولاد الشعب الذين يعملون في الصناعة والتجارة والزراعة، يوقف بهم عند مبادئ الكتابة والقراءة وشيء من الحساب. وضعت لهم كتب التعليم الديني كالتالي:

1/كتاب مختصر في العقائد الإسلامية المتفق عليها عند أهل السنة، بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الإسلامية مع الاستدلال عليها بالأدلة الاقناعية والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة.

2/ كتاب مختصر في الحلال والحرام من الأعمال، وبيان الأخلاق والصفات الطيبة والتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها.

3/كتاب في التاريخ، مختصر يجتوي على مجمل سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالأخلاق الكريمة والأعمال العظيمة وفداء الدين بالأرواح والأموال، واتباع تاريخ الخلفاء العثمانيين.[1]

الطبقة الثانية: أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والملكية والشرعية والعسكرية والطبية وما يتلوها والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها، حفاظا لما استحفظوا عليه من شؤونها، وهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة في مبدأ التعليم الديني بمزاد لها –بعد ما تقدم– كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على النحو التالي:

- كتاب يكون مقدمة للعلوم.
- كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط.
- كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والرذائل.

[1] الأعمال الكاملة، ج3، مرجع سابق، ص82

- كتاب تاريخي ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– وسيرة أصحابه.

الطبقة الثالثة: لقد عنون محمد عبده هذه الطبقة بالتعليم الديني العالي لطبقة المعلمين والمرشدين، وأبناء المسلمين الذين كشف الامتحان امتيازهم في فهمها، وتخلقهم بالصفات المقصودة بوضعها، فانتخبوا لذلك على ان يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل، حتى يكونوا عرفاء الأمة وهداة الملة.

ومن الكتب المقررة:

كتاب في تفسير القرآن، هو أهم ما يحتاج إليه لقراءة القرآن وفهمه والتمعن فيه، فالقرآن سر نجاح المسلمين

كتاب في فنون اللغة العربية، من نحو وصرف ومعان وبيان

كتاب في الحديث، على شرط أن يأخذ مفسرا.

يبين محمد عبده أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين، فالداخل إليها قليل بالنسبة الى عدد الأهالي، فلذلك من الواجب الالتفات الى هذا الجمهور الكبير بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم ولن يتم هذا الإصلاح إلا بالدعاة والمرشدين.

اللائحة المقدمة إلى اللورد كرومر في القاهرة:

قدم محمد عبده لائحته بكلام عن الحاكم الى صلاح والمحكومين بأقل من حاجتهم إلى صلاحه. يعقد بعد ذلك فصلا عن طبيعة مصر والمصريين ينم عن فهم ودراية ونظر صائب، ويرسم طريق إلى المصريين وهو أخذهم بالتربية الصحيحة. فهناك تتصلح أحوالهم وينش~ النظام احترامه في قلوبهم، ويهتدي صاحب السلطة إلى طريق تصريفهم. يعلل احتقار المصريين للنظام بسببين الأول

بعد جمهورهم عن المعرفة بوجود المصالح والثاني حرمانهم من التربية التي تطبع في نفوس أغلبهم ومرجع الأمر الى سوء العقيدة.[1]

أوجه التشابه والاختلاف:

من حيث موقفهما من الحضارة الغربية:

في اتفاق من محمد عبده ومحمد اقبال من حيث معاينتهم للمجتمع الغربي والمكوث فيه مدة زمنية، ورؤيتهم للعلم والفكر الغربي والتعمق فيه من خلال تعرفهم على فلاسفة ومفكرين، مما أدى بهم التعمق في باطن الأمور ورؤية العلوم الحديثة والتكنولوجيا وتأثيرها على البيئة الأوروبية. وهذا في نظرهم وما تحتاجه الأمة الإسلامية للقيام بتطورها ونشاتها.

وبينما تأثرهم بالحضارة الغربية الا أنهما انتقداها وما قد تخلفه من أضرار على المسلمين، حيث رأوا انه لا يوجد غرض وراء هاته العلوم والفنون الا المادية أي أن العقل البشري يتطور في أوروبا، كما أن بعدا الالحاد الذي انتشر في النزعات الفكرية الأوروبية ففي حضارة ساعية النهب والاستعمار وإفقار الدول العربية الاسلامية وهذا ما جعلهم يأخذون الحيطة والحذر.

خلال معايشته للغرب والدراسة هناك والتطلع على جوهرها وعلى حضارتها اللادينية فإقبال قد تكون في الجامعات الأوروبية، على عكس محمد عبده الذي كان تكوينه محلي وإقامته في أوروبا لفترة قصيرة وهذا ما جعل إقبال أكثر نقدا للحضارة الأوروبية المادية ومجتمعاتها وما تحمله من مخاطر للأمة الإسلامية.

موقفهما من التعليم الغربي:

يتفقان:

في أن التعليم الغربي وما يقدمه في المدارس غير متوافق مع مقومات الأمة الإسلامية مع مناهج الدين الإسلامي حيث أن المدارس الأجنبية لا تنظر إلى الجانب الإنساني والديني للمتعلم بل

[1] الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص 84

تجعله يتبع المادة دون السعي إلى الاهتمام بمجتمعه وأمته ذلك ما يجعلهما يركزان على ضرورة تطبيق التعاليم الدينية والأخلاقية في التعليم لكي لا تفقد الامة معالم وروح الانسانية.[1]

ويختلفا:

في أن محمد إقبال رأى مساوئ التعليم الغربي بعمق كونه عاش ومر بالتجربة، ومما أدى به إلى النقد الكامل بجوانب مختلفة من التعليم الغربي وما يمكن ان ينتجه في المجتمع والأمة الإسلامية من عيوب وسلبيات، أما محمد عبده فلم تكن تجربته مثل إقبال فنقده كان مبنيا على ما خلفته المدارس وما أنتجته من عقول وأناس، مما جعله يسعى إلى مواجهة خطر هاته المدارس الاجنبية.

التعليم في العالم الإسلامي:

يتفقان:

في نقاط عديدة حول هذا كون رؤيتهم أن ضعف الأمة الإسلامية وتأخرها راجع إلى التعليم في العالم الإسلامي حيث أن السبب الرئيسي والأول لتخلفها هو العامل الديني وعدم بناء التعليم عليه مما يجعل من الأمة حالية العقول والفكر من الدين ومن تعاليمه هذا ما يجعلها أكثر عرضة للتقليد وتأثير الاجانب على العقول وعلى الديانة وبذلك لا يكون للفرد لا حرية ولا حياة، ويكون خاضعا للسيطرة وليس بيده حيلة.

مناهج وطرق التدريس التي كانت غير محفزة ومقيدة على ذهن المتعلم، وهذا راجع إلى المعلم الذي يدرس دون كفاءات ومبادئ لإصلاح المجتمع والى الجهة المختصة في المراقبة والاشراف على الاساتذة مما أنتج مجتمع مادي فارغ العقول والأصداف يسعى فقط لكسب العيش وليس لإعداد نفسه والسعي وراء النهوض بأمته.

ويختلفا في:

كون لكل منهما خصوصيات فكرية وثقافية، حيث أن محمد إقبال يلح في التعليم على نظريته في المعرفة، وعلى ثنائية العلم والحياة، والعقل والقلب، مما جعل من المدارس أن تعيد النظر إلى

[1] عبد الوهاب عزام، اقبال سيرته وفلسفته وشعره، مرجع سابق، ص19

النظام التعليمي بها وإلى المبادئ التربوية المبنية عليها. اما محمد عبده فكان ينظر إلى التعليم بنظرة أضيق من حيث الأفق حيث كان يشخص التعليم في بلده فقط، لذلك جاءت نظرته محددة ومخصصة.

خلاصة الفصل:

ان المقارنة بينهما تكشف مدى التقارب بينهما والتكامل، وذلك من أجل القيام بنظرية تربوية هادفة قائمة على النهوض بالأمة. حيث أنهما اعتمدا على الفكر الإنساني والدين الاسلامي من أجل تغيير أمة بنيت على التقليد والنهب والاستغلال. ومن اجل القضاء على مخلفات الحضارة الغربية في روح الإنسان المسلم وما زرعته فيه.

الخاتمـــــة

الخاتمة:

يعد موضوع الفكر التربوي عند محمد عبده من اهم المواضيع في فلسفة التربية لأنه غني بالحقائق فكلاهما أثريا الفكر الفلسفي بأفكارهما التي اعتبرت كمراجع الهمت العديد من المفكرين والفلاسفة والدارسين لأفكارهما.

فالعالمين نشا في بيئتين مغايرتين ومتباعدتين من حيث الزمان والمكان الهند ومصر ولم يحدث ان التقيا فلقد سبق محمد عبده محمد اقبال في الزمان ولكن الدارس لأفكارهما يلتمس توافقا وتقاربا كأنهما في كانا يعيشان في بيئة واحدة فقد انشغلا بموضوع مهم الا وهو الاصلاح اي اصلاح الانسان المسلم الذي كان يعاني الاستعمار وبالتالي كان هناك جهل واستعباد ومحاولات لطمس الشخصية الاسلامية وكذا الخطر الذي كان يحيط به جراء ما كان يروج له من افكار متطرفة والتي ادت به الى نوع من الركود الفكري وعدم السعي للعمل ولعل اهم نقطة اشتركا فيها هي الدين اي التركيز على الدين في الاصلاح الفكري للإنسان وهذا يدل على انهما تربيا تربية دينية اسلامية منذ الصغر بدايتها كانت بحفظ القران وكذا التربية الصوفية فإقبال تتلمذ على يد الشيخ درويش بينما محمد عبده على يد والده اما بدايات تكوينهما كان محليا وفي بيئة مسلمة ثم تم الاحتكاك مع البيئة الغربية والتي لم تؤثر على افكارهما فقد ظلت نظرية الاصلاح التربوي والفكري تشغلهما وفي اطار اسلامي بامتياز. حيث كانت مستمدة من القران والسنة النبوية وقد اشتركا تقريبا في نظرتهما الى بعض المواضيع كنظرية المعرفة فكان الدين عنصر اساسي فيها حيث استلهمت الافكار من القران والسنة ولقد اتفقا على ان العقل مهم في بناء المعرفة بالتكامل مع القلب دون اهمال الحس غير ان اقبال اعطى مجالا واسعا عكس عبده الذي وضع له حدود. اما نظرتهما الى العالم والانسان فأفكارهما دائما كانت دينية مركزين على مسالة الحرية الانسانية ودعا الى العمل لبناء المجتمع، ومن جهة نظرتهما الى العالم فقد اشتركا في نقطة واحدة الا وهي ان العالم حادث وليس قديم لأنه مخلوق من قبل الله وهو يسير وفق ارادته. واذ نظرنا الى الحضارة الغربية فكلاهما نقدا الحضارة الغربية لما

لها من خطر على الانسان المسلم ولكن من جهة اخرى سمحا بالانفتاح عليها بغرض الفائدة ولكن في حدود.

ولكن التباين كان واضحا حيث عبده كان معجبا بالتطور الحضاري ومعجب بنظام حياتهم واعتبرها حل لتغيير المسلمين نحو الاحسن ولكن اقبال كان له راي اخر وحذر منها بشدة. اما فيما يخص التعليم فقد حاز على اهتمام أكبر من طرفهما باعتباره يساهم في اصلاح الامة او ضعفها فكلاهما حذر من التعليم الغربي الذي طغت مناهجه على المدراس والذي شكل خطرا على الامة الاسلامية فكان النقد واضحا من طرفهما وأدى ذلك الى ثورة الاصلاح التي قادها العالمين قصد اصلاح المنظومة التربوية التي تتماشى مع البيئة المسلمة وتساهم في الارتقاء بالإنسان. وان نظرنا الى النظرية التربوية كانت مبنية على اسس دينية وهذا راجع الى تربيتهما، وهو ما دعا اليه اقبال وعبده للنهوض بالإنسان واعادة تربيته تربية صحيحة على اسس اسلامية، ويبدأ ذلك بالاهتمام بالمعلمين وتأهيلهم حتى تنعكس النتائج على تكوين الفرد والمجتمع قصد الوصول الى غاية تحقيق السعادة للإنسان وترقيته حضاريا. ولكن هذا لا يمنع وجود بعض نقاط الاختلاف في الرؤى بين محمد اقبال ومحمد عبده فإقبال كان واسع النظر ووجه إصلاحه للامة الاسلامية، اما محمد عبده بدا باصطلاح بيئته وهي مصر. ولكن لا يجب ان نغفل عن امر مهم وواضح في معالمهما الاصلاحية التي ترمي الى النهوض بالأمة لبناء الحضارة.

واخيرا مهما تطابقا الرجلين او اختلفا في آرائهما الا انهما كان يسعيان الى هدف واحد وهو الرقي بالإنسان في جميع المجالات ولا ننكر ان افكارهما التربوية جابت معظم البلاد الاسلامية وكانت مصدر الهام العديد من المصلحين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا:

1. القرآن الكريم:
2. السنة النبوية

ثانيا: المصادر

3. محمد عبده رسالة االتوحيد كتاب الثقافة الجديد ط1 دار الشروق 1414 ه 1993
4. محمد عبده رسالة الواردات في نظريات المتكلمين و الصوفية ط2 مطبعة المنار مصر 1344 ه 1925 م
5. محمد اقبال تجديد الفكر الدني في الاسلام ط2 ترجمة محمد يوسف عدس دار الكتاب اللبناني بيروت 2011 .
6. محمد إقبال، ديوان الأسرار والرموز، تر: عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة مصر، 1956.
7. محمد إقبال، الأعمال الكاملة، إعداد سيد عبد الماجد غوري، دمشق بيروت، دار ابن كثير، ط3.
8. محمد إقبال، ماذا نفعل يا امم الشرق؟، تر: محمود أحمد غازي، دمشق، دار الفكر، ط1، 1988.
9. محمد إقبال ، ديوان أرمغان حجاز، تر: سمير عبد الحميد إبراهيم، ط1، باكستان، المكتبة العلمية وطبعاتها، ط1، 1976.
10. محمد إقبال، ضرب كليم، تر: عبد الوهاب عزام، مطبعة مصر، جامعة الأزهر للنشر والتأليف، 1952.

11. محمد إقبال، تجديد التفكير الديني، تر: محمود عباس، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1976.
12. محمد إقبال، ضرب كليم، إعلان الحرب على .....، ترجمة عبد الوهاب عزام، مؤسسة صنداوي، .2014

المراجع:

13. أبو الحسن علي الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، الكويت، دار القلم، ط4، 1983.
14. د. حسن الحنفي، محمد إقبال فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006.
15. سيد عبد الماجد غوري، محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف، دار ابن كثير، دمشق بيروت 1421هـ، 2000م.
16. سيد عبد الماجد غوري، ديوان محمد إقبال، دار ابن كثير، ج1، دمشق بيروت، 2007م.
17. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي، مصر،2012.
18. محمد غسان الجبان، مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، ط1، سوريا دمشق، 2012.
19. محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، دار الشروق، ط1، 1993 (ج1-2-3).
20. عبد الرحمان محمد بدوي، الامام محمد عبده والقضايا الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005،
21. بدران مسعود بلحسن، المدخل النقدي لإعادة بناء الفكر الإسلامي.
22. أثر التربية والتعليم في نهضة المجتمع، الإمام محمد عبده نموذج.

23. طاهر الطناح، مذكرات الإمام محمد عبده، دار الهلال.
24. محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير العلم.
25. د. عثمان أمين، رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، دار المجلس الأعلى للثقافة، 1996.
26. أبو الحسن الندوي، روائع إقبال، دار الفكر، دمشق، ط1، 1973/1960
27. هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، بيروت، ط2، 1981.

المجلات:

28. أمحمد شيلي، مجلة الحقيقة، مجلد 17، العدد 2، سنة 2018.
29. علال الفاسي مجلة دعوة الحق
30. احمد عزت سليم مجلة الساعة 29-10- 2022
31. عبد الله انزكي جريدة زمان التركية 4-3-2019
32. احمد سالم مقال العقل و الحرية في فكر محمد عبده .

دراسات سابقة :

33. أمحمد شيلي، قيمة الفكر التربوي عند محمد اقبال ومحمد عبده دراسة نقدية مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة، تخصص فلسفة التربية، المدرسة العليا للأساتذة بوزيعة، 2018
34. مرزاق بيبي، الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، قسم علم النفس جامعة، جامعة الجزائر2، 2007.
35. خليل الرحمان عبد الرحمان، محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة.

القواميس والمعاجم:

36. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل.

الفـــهـــرس :

مقدمة: .....أ

الفصل الأول: تاريخ الفكر التربوي عند محمد إقبال 3

المبحث الأول: تاريخ الفكر التربوي عند محمد إقبال:.....9

المبحث الثاني: مفهوم الإصلاح التربوي عند محمد إقبال:.....15

المبحث الثالث: صلة النهضة بالتربية عند محمد إقبال : 31

الفصل الثاني:معالم الإصلاح عند محمد عبده 36

المبحث الأول: التربية والإصلاح من الفرد والمجتمع 37

المبحث الثاني: مفهوم الاصلاح عند محمد عبده.....48

الفصل الثالث 62

المبحث الاول: نظرهما الى المعرفة والعالم والانسان 63

المبحث الثاني: نظرتهما إلى الحضارة الغربية والتعليم في العالم الاسلامي..... 74

الخاتمة: 90

قائمة المصادر والمراجع.....92

الفهرس 96

الملخص:

تشمل هذه الدراسة عالمين مهمين وابزر مصلحين في العصر الحديث هما محمد عبده و محمد اقبال حيث كان هدفهما هو النهوض بالعالم العربي و اصلاحه جراء التخلف الذي اصابه , وركزا على الاصلاح الفكري كبداية مشروعهما و اعتبرا ان التربية هي العامل المحرك لبداية الاصلاح في جميع الميادين و لكن بشرط ان تكون تربية دينية .

الكلمات المفتاحية : محمد عبده , محمد اقبال, تربية , اصلاح , دين .

Summary of study

This study includes two important words and the most prominent modern-day reformes : MOHAMED ABDOU and MOHAMED IQBAL .

Their goal was to promote and redress the arabe world as a result of its underdevelopment .

They focused on intellectual reform as a beginning of their project and considered education as the driving factor of the beginning of reform. But provided it’s a religious education.

Key words : Mohamed Abdou, Mohamed Iqbal, Education, Reforme Religion .